نوادر العشاق



لجامعه : ابراهيم زيدان

يطلب من مكتبة الهلال بالفجالة بمصر

نوادر العشاق

لجامعه

ابراهيم زيدان

وهو يحتوي على اشهر نوادر العشاق من الخلفاء والظرفاء وبني عذرة وبني عامر والشعراء وغيرهم

ترى المحبين صرعى في ديارهم … كفتية الكهف لا يدرون كم لبثوا
والله لو حلف العشاق انهم … صرعى من الحب أو موتى لما حنثوا

يطلب من مكتبة الهلال
شارع كامل صدقي رقم ٦ بالقاهرة

الطبعة الثالثة

المطبعة التجارية الحديثة
٣٠ شارع الشيخ ... السكاكيني

مقـدمة

لجامع الكتاب

ما العاشق إلا غصن مورق أزهر فى خلاله الحب فأثمر حلو العفاف . فهو لا يرتاح إلا إلى طير يشكو نوى إلفه ، ولا يروق له فى واسع الفلاة إلا تنسم ريح الصبا الحاملة شذا الحبيب ، فلله ما أحلى الحب إذا توشى ببرد الصفاء ، وما أبهى سناه إذا استمد من لظى القلب الطاهر نوراً ساطعاً بهياً. فهو لعمرى السلم المؤدية إلى العلياء ، التى لا يرتقيها إلا قوم أنزلت على قلوبهم آيات العفاف ، بل الروح السارية مع النسيم مسرى الصفاء فى الهوى العذرى ، أو الاقدام فى قلب الفارس الشجاع . وحسبه وصفاً انه يطرق القلوب فيدمث الأخلاق ، ويغشى الفؤاد فيوحى إليه شمائل تغنى عن الشمول . ولله در ابن الفارض حيث يقول :

وبالحدق استغنيت عن قدحى ومن ... شمائلها لا من شمولى نشـــوتى

وإليك ما جاء فى العشق وذويه ملخصاً من أقوال العرب .

قال العيني : سألت أعرابياً عن العشق فقال : هو أظهر من أن يخفى وأخفى من أن يرى ، كامن كمون النار فى الحجر إن قدحته أورى وإن تركته توارى . وقيل لو لم يكن للعشق إلا أنه يشجع الجبان ، ويصفى الأذهان ، ويبعث حزم العاجز لكفاه شرفاً. قيل لرجل إبنك قد عشق فقال : عذب قلبه وأبكى طرفه وأطال سقمه وقيل ذنوب العشاق ذنوب اضطرار لا اختيار ، وما كان كذلك لم يستحق عقوبة . وقال عبد الله بن جندب : خرجت فرأيت فتاة حسناء كأن وجهها الفضة فتمثلت بقول قيس بن ذريح

خـــذوا بدمى إن مت كل خريدة ... مريضة جفن العين والطرف فاتر

فقالت الفتاة : يا ابن جندب إن قتيلنا لا يودى وأسيرنا لا يفدى. وقال الشاعر

تشكى المحبون الصبابة ليتنى ... تحملت ما ألقاه من بينهم وحدى
فكانت لنفسى لذة الحب كلها ... فلم يلقها قبلى محب ولا بعـــدى

وقال شاعر بنى أسد

إذا أمرتك النفس أن تتبع الهوى ... فقـــل سامع للأمر منك مطيع

أراد أحدهم السفر وكان له ابنة عم يحبها فقال

ولمـــا تبدت للرحيل جمالنـا ... وجـــد بنا سير وفاضت مدامعُ
أشارت بأطراف البنان وسلمت ... وأومت بعينيها متى أنت راجع
فقلت لها والقلب فيه حـــرارة ... فديتك ما علمى بمـــا الله صانع

سأل سعيد الهمذانى اعرابياً حضر مجلسه : ممن الرجل قال من قوم إذا عشقوا ماتوا . فقال عذرىّ ورب الكعبة ثم سأله سبب ذلك . فقال : لأن فى نسائنا صباحة وفى فتياننا عفة

قال بعض حكماء الهند : ما علق العشق بأحد عندنا إلا وعزينا أهله فيه

قيل ان بهرام جور ملك الفرس لم يرزق سوى ولد فأخذ فى ترشيحه للملك وهو ساقط الهمة ، إلى أن اتفق المعلمون من الحكماء وغيرهم على أن لا نافع له غير العشق ، فسلط عليه الجوارى يعبثن به إلى أن علق بواحدة منهن . فأمرها الملك بالتجنى عليه ،

وإنها لا تطلب إلا رفيع الهمة ذا رغبة فى العلم والملك فكان بسبب ذلك من أجل ملوك الفرس وأعلها

قال بعضهم العشق مجهول لا يعرف ومعروف لا يجهل هزله جد وجده هزل

سأل المأمون ابن اكثم ما العشق فقال سوانح للمرء تؤثرها النفس ويهيم بها القلب وسأل ثمامة فقال: العشق جليس ممتع وأليف مؤنس وصاحب مالك وملك قاهر، مسالكه لطيفة ومذاهبه غامضة وأحكامه جائرة، ملك الأبدان وأرواحها والقلوب وخواطرها والعيون ونواظرها والعقول وآراءها، وأعطى عنان طاعتها وقياد ملكها وقوى تصرفها، توارى عن الأبصار مدخله وغمض فى القلوب مسلكه. فقال له المأمون أحسنت يا ثمامة، وأمر له بجائزة قيل لسعيد بن سالم: إن ابنك شرع فى الرقيق من الشعر فقال: لا بأس فى ذلك فقد شرف وظرف ودق ورق. ووجد على صخرة مكتوباً: العشق ملك غشوم مسلط ظلوم دانت له القلوب وانقادت له الألباب وخضعت له النفوس، فالعقل أسيره والنظر رسوله واللحظ عامله والتفكر جاسوسه والشغف حاجبه والهيام نائبه، بحر مستقره غامض ويم تياره فائض دقيق المسلك عسير المخرج

نظر رجل إلى معشوقته فغشى عليه فقال حكيم انه من انفراج قلبه اضطرب جسمه فقيل له ما بالنا لا نكون كذلك عند النظر إلى أهلنا فقال محبة الأهل قلبية وهذه روحانية، فهى أدق وألطف وأعظم سرياناً وفعلا. وقال الشاعر

خيالك فى عينى وذكرك فى فمى ومثـــواك فى قلبى فأين تغيب

وقيل لبعض العلماء ان ابنك قد عشق. فقال الحمد لله الآن رقت حواشيه ولطفت معانيه وملحت اشاراته وظرفت حركاته وحسنت عباراته وجلت شمائله فواظب على المليح واجتنب القبيح.

وكانت العرب تفتخر بمن يطرق الحب قلبه ، حتى أن جوارى بعض الخلفاء وغيرهم من العظام كن يكتبن على العصائب وغيرها من البرد أبيات شعر تضمنت من الغزل أشهاه ومن كؤوس الأوصاف أرقه وأهناه وإليك ذكر ما كتب على عصائب بعض الحسان :

قال أبو الحسن : دخلت على هرون الرشيد وعلى رأسه حوار كالتماثيل فرأيت عصابة منظمة بالدر والياقوت مكتوب عليها بصفائح الذهب :

ظلمتنى فى الحب يا ظالم ... والله فيما بيننا حاكمُ

ورأيت على عصابة أخرى

ما لى رميت فلم تصبك سهامى ... ورميتنى فأصبتنى يا رامى

وكتب على عصابة

ألا بالله قولوا يا رجال ... أشمس فى العصابة أم هلال

وعلى غيرها

أتهوون الحياة بلا جنون ... فكفوا عن ملاحظة العيون

وكتبت ورد جارية الماهانى على عصابة لها ، وكانت تجيد الغناء مع فصاحتها وبراعتها

تمت وتم الحسن فى وجهها ... فكل شىء ما سواها محال
للناس فى الشهر هلال ولى ... فى وجهها فى كل يوم هلال

قال على بن الجهم خرجت علينا عالج جارية خالصة تميس تيهاً وإعجاباً ، وعلى طرتها مكتوب

يا هلالا من القصور تجلى ... صام طرفى لمقلتيك وصلى
لست أدرى أطال ليلىَ أم لا ... كيف يدرى بذاك من يتقلى
لو تفرغت لاستطالة ليلى ... ولرعى النجوم كنت مخلا

وخرجت إلينا منال وعليها درع خام مكتوب على جانبه الأيمن

كتب الطرف فى فؤادى كتاباً ... هو بالشوق والهوى مختومُ

وعلى الأيسر مكتوب

كان طرفى على فؤادى بلاءً إن طرفى على فؤادى مشوم

وكان على عصابة (ظبى) جارية سعيد الفارسى مكتوباً بالذهب

العين قارئة لمـــا كتبت فى وجنتىّ أنامل الشجن

قال الحسن بن وهب : كتبت شعب على عصابة جاريتها

لم ألق ذا شجن يبوح بحبه إلا حسبتك ذلك المحبوبا
حذراً عليك وانى بك واثق أن لا ينال سواى منك نصيبا

وكتب شفيع خادم المتوكل على عاتق قبائه الأيمن

بدر على غصن نضـير شرق الترائب بالعبـــير

وعلى عاتقه الأيسر

خطت صفيحة وجهــه فى صفحة القمر المنـــير

وكتبت وصيف جارية الطائى على عصابتها

فما زال يشكو الحب حتى حسبته تنفس فى أحشـــائه وتكلما
فابكى لديه رحمـــة لبكائه إذا ما بكى دمعاً بكيت له دما

وكان على عصابة (مزاج) وهى من مواجن أهل بغداد

قالوا عليك دروع الصبر قلت لهم هيهات أن سبيل الصبر قد ضاقا
ما يرجع الطرف عنها حين يبصرها حتى يعود اليه الطرف مشتاقا

وكتبت جارية الناطفى على عصابتها

الهند والسمر فى عينى إذا نظرت فاغرب بعينيك يامغرور عن عينى
فإن لى سيف لحظ لست أغمده من صنعة الله لا من صنعة القين

وكتبت (حدائق) فى كفها بالحناء

ليس حسن الخضاب زين كفى حسن كفى زين لكل خضاب

وخرجت (علينا) جارية حمدان وقد تقلدت سيفاً محلى وعلى رأسها قلنسوة مكتوب عليها

تأمل حسن جارية ... يحار بوصفها البصرُ
مذكرة مؤنثة ... فهي أنثى وهي ذكر

وعلى حمائل سيفها مكتوب بالذهب

لم يكفه سيف بعينيه ... يقتل من ساء بحديهِ
حتى تردى مرهفاً صارماً ... فكيف أبقى بين سيفيه
فلو تراه لابساً درعه ... يخطر فيها بين صفيه
علمت أن السيف من طرفه ... أقتل من سيف بكفيه

وكتبت واحدة على منطقة جاريتها منصف الكوفية

جسدي من غمزة العين م إذا ما مت ينحلّ
وفؤادي رق حتى ... كاد من صدري ينسل
بعض ما بي يصدع القلب م فما ظنك بالكل

قال أحمد بن عبد الله رأيت على مروحة مكتوباً

الحمد لله وحده ... وللخليفة بعده
وللمحب إذا ما ... حبيبه بات عنده

ورأيت في مجلس سريراً مكتوباً عليه بالذهب :

أشهى وأعذب من راح ومن ورد ... الفارن قد وضعا خداً على خدّ
وضم احداهما أحشاء صاحبه ... حتى كأنهما للقرب في عقد
هذا يبوح بما يلقاه من حزن ... وذاك يظهر ما يخفى من الوجد

ورأيت على عصابة :

وأن يحجبوها بالنهار فما لهم ... بأن يحجبوا بالليل عنى خيالها

قال الأصمعي رأيت على باب الرشيد وصائف على عصابة واحدة منهن مكتوب

نحن خود نواعم من أراض مقدسه
أحسن الله رزقنا ليس فينا منحسه
فاتق الله يافتى لا تدعني موسوسه

يقسم كتاب نوادر العشاق إلى ستة أقسام

القسم الأول في نوادر الخلفاء
« الثاني « « بني عذرة
« الثالث « « « عامر
« الرابع « الشعراء
« الخامس متفرقات من نوادر العشاق
« السادس في مصارع العشاق



القسم الأول

فى نوادر الخلفاء

هرون الرشيد والجارية وأبو نواس

أرق الرشيد ليلة فقام يمشى فى المقاصير فرأى جارية لطيفة الشكل بديعة المنظر فأيقظها فقالت وقد علمت به : يا أمير الله ما هذا الخبر . فقال

هو ضيف طارق فى حيكم يرتجى المأوى إلى وقت السحر

فقالت : بسرور سيدى أخدمه إن رضى بى وبسمعى والبصر

فلما أصبح أحضر أبا نواس وقال له اجز يا أمين الله ما هذا الخبر ، فأنشد :

طال ليلى حين وافانى السهر فتفكرت فأحسنت الفكر
قمت أمشى فى مكانى ساعة ثم أخرى فى مقاصير الحجر
وإذا وجه جميل حسن زانه الرحمن من بين البشر
فلمست الرجل منها موقظاً فرنت نحوى ومدت لى البصر
وأشارت وهى لى قائلة يا أمين الله ما هذا الخبر
قلت ضيف طارق فى حيكم يرتجى المأوى إلى وقت السحر
فأجابت بسرور سيدى أخدم الضيف بسمعى والبصر

فقال له أكنت معنا قال : لا ولكن ألجأنى الشعر إلى ذلك .

الأصمعى وهرون الرشيد والجارية

قال الأصمعى : دخلت على هرون الرشيد وبين يديه جارية حسناء عليها لمة جعدة وذؤابة مسترسلة وهلال بين عينيها مكتوب عليه بالذهب « هذا ما عمل فى طراز الله » فقال يا أصمعى صفها . فأنشأت أقول :

كنانية الأطراف سعدية الحشا هــلالية العينين طائية الفمِ
لها حِـكم لقمان وصورة يوسف ونغمة داود وعفـــة مريمِ

فقال : أحسنت والله يا أصمعى فهل عرفت اسمها قلت لا يا أمير المؤمنين . فقال اسمها دنيا فأطرقت ساعة ثم قلت :

إن دنيـــا هى التى تملك القلب قاهـره
ظلموها شـــطر اسمها فهى دنيا وآخره

فسرّ هرون الرشيد من هذا الوصف سروراً عظيما

ماردة وهرون الرشيد

عتبت ماردة على هرون الرشيد فكانت تظهر له الكراهة وتضمر له المحبة فقال فيها

تبدى صدوداً وتخفى تحته صلة فالنفس راضية والطرف غضبان
يا من وضعت له خدى فذلله وليس فوق سوى الرحمن سلطان

هرون الرشيد والبنت العربية

روى أن أمير المؤمنين هرون الرشيد مرّ فى بعض الأيام وصحبته جعفر البرمكى وإذا هو بعدة بنات يستقين الماء فعرج عليهن يريد الشرب وإذا إحداهن التفتت اليهن وأنشدت تقول

قولى لطيفك ينثنى عن مضجعى وقت المنام
كى أستريح وتنطفى نار تؤجج فى العظام
دنف تقلبه الأكف على بساط من سقام
أما أنا فكما علمت فهل لوصلك من دوام

فأعجب أمير المؤمنين ملاحتها وفصاحتها وقال لها يا بنت الكرام أهذا من مقولك أم من منقولك . قالت من مقولى . قال إذا كان كلامك صحيحاً فامسكى المعنى وغيرى القافية ، فأنشدت تقول :

قولى لطيفك ينثنى عن مضجعى وقت الوسن
كى أستريح وتنطفى نار تؤجج فى البدن
دنف تقلبه الأكف على بساط من شجن
أما أنا فكما علمت فهل لوصلك من ثمن

فقال لها والآخر مسروق . قالت بل كلامى . فقال إن كان كلامك أيضاً فامسكى المعنى وغيرى القافية فجعلت تقول :

قولى لطيفك ينثنى عن مضجعى وقت الرقاد
كى استريح وتنطفى نار تؤجج فى الفؤاد
دنف تقلبه الأكف على بساط من سهاد
أما أنا فكما علمت فهل لوصلك من سداد

فقال لها والآخر مسروق . قالت بل كلامى فقال لها إن كان كذلك فامسكى المعنى وغيرى القافية فقالت :

قولى لطيفك ينثنى عن مضجعى وقت الهجوع
كى استريح وتنطفى نار تؤجج فى الضلوع
دنف تقلبه الأكف على بساط من دموع
أما أنا فكما علمت فهل لوصلك من رجوع

فقال لها أمير المؤمنين من أى هذا الحى . قالت من أوسطه بيتاً وأعلاه عموداً ، فعلم أمير المؤمنين أنها بنت كبير الحى ثم قالت له وأنت من أى رعاة الخيل فقال من أعلاها شجرة وأينعها ثمرة فقبلت الأرض وقالت أيدك الله يا أمير المؤمنين ودعت له ثم انصرفت مع بنات العرب فقال الخليفة لجعفر لا بد من زواجها ، فتوجه جعفر إلى أبيها وقال له إن أمير المؤمنين يريد ابنتك فقال حباً وكرامة تهدى جارية إلى حضرة مولانا أمير المؤمنين . ثم جهزها وحملها إليه فكانت من أعز نسائه

ابراهيم الموصلى والرشيد والجارية

قال ابراهيم الموصلى قال لى الرشيد : بكر لنصطبح فقلت أنا والصبح فرسا رهان نستبق إلى حضرتك . فبكرت فاذا أنا به خال وبين يديه جارية كأنها غصن بان حلوة المنطق جميلة الصوت وهى تنشد شعر أبى نواس :

توهمــــه طرفى فأصبح خــــده وفيه مكان الوهم من نظرى أثر
ومر بفكرى خاطر فجرحته ولم أرَ جسما قط يجرحه الفكر
وصافحه كفى فآلم كفه فمن غمز كفى فى أنامله عقر

فذهبت والله بعقلى حتى كدت أفتضح ، فقلت من هذه يا أمير المؤمنين . قال هذه التى قال فيها الشاعر :

لها قلبى الغداة وقلبها لى فنحن كذاك فى جسدين روح

ثم قال لها غنى فغنت

تقول غداة البين إحدى نسائهم لىَ الكبد الحرى فسر ولك الصبر
وقد خنقتها عبرة فدموعها على خدها بيض وفى نحرها صفر

وشرب وسقاها وقال غن يا ابراهيم . فغنيت عن غير عمد ولا تحفظ أقول :

تشرب قلبى حبها ومشى به تمشى حميا الكأس فى جسم شارب
ودب هواها فى عظامى فشفها كما دب فى الملسوع سم العقارب

ففطن لتعريضى وكانت جهلة منى فأمرنى بالانصراف ، ولم يدعُ بى شهراً ولا حضرت مجلسه . فلما كان بعد شهر دس إلى خادماً معه رقعة ، مكتوب عليها هــــذه الأبيات :

قد تخوفت أن أموت من الوجد م ولم يدر من هويت بما بى
يا كتابى اقرا السلام على من لا اسمى وقـــل له يا كتابى
كف صب إليكم كتبتنى فارحموا غربتى وردوا جوابى
إن كفاً إليكم كتبتنى كف صب فؤاده فى عذاب

فأتانى الخادم بالرقعة فقلت ما هذه . قال رقعة فلانة الجارية التى غنتك بين يدى أمير المؤمنين ، فأحسست بالقصة وعجبت من ذاك الأمر

الرشيد والجارية

دخلت جارية على الرشيد للبيع فتأملها وقال لصاحبها : خذ بيدها وانطلق،ولولا كلف بوجهها وخنس بأنفها لاشتريتها . فأخذها وحين ما بلغت الستر قالت : يا أمير المؤمنين ردنى لأنشدك بيتين خطرا لى . فردها فأنشدت

ما سلم الظبي على حسنه　　كلا ولا البدر الذى يوصفُ
الظبي فيـــه خنس بين　　والبدر فيـــه كلف يعرف

فسر الرشيد من فصاحتها واشتراها وقربها اليه

جارية أمير المؤمنين والشاب

كان لأمير المؤمنين جارية حسناء تدعى قوت القلوب، فسافر يوما وتركها فى قصره وحيدة فريدة . فوقع نظرها على شاب جميل الهيئة فأحبته كثيراً وأباحت بما عندها. فصد عنها خوفا من الخليفة ، فزاد حبها بامتناعه ، فنظرت اليه نظرة الهائم وأنشدت تقول :

قلب المتيم كاد أن يتفتتا　　فالى متى هذا الصدود إلى متى
يا معرضا عنى بغير جناية　　فعوائد الغـــزلان أن تتلفتا
صد وهجر زائد وصبابة　　ما كل هذا الأمر يحمله الفتى

فبكى وبكت من لوعة الحب والغرام وأنشدت تقول

بديع الحسن كم هـذا التجنى　　ومن أغراك بالإعراض عنى
حويت من الرشاقة كل معنى　　وحزت من الملاحة كل فن
وأجريت الغرام لـكل قلب　　ووكلت السهاد بكل جفن
وأعرف قبلك الأغصان تُجنى　　فيا غصن الأراك أراك تَجنى

وعهدى بالظبا صيداً فما لى أراك تصيدأرباب المجنّ
وأعجب ما أحدث عنك أنى فتنت وأنت لم تعلم بأنى
فلا تسمح بوصلك لى فانى أغار عليك منك فكيف منى
ولست بقائل ما دمت حياً بديع الحسن كم هذا التجنّ

المأمون وجاريته

قال أبو حماد الموكلى وصفت للمأمون جارية بكل ما توصف امرأة من الكمال والجمال . فبعث فى شرائها . فأنى بها وقت خروجه الى بلاد الروم ، فلما هم ليلبس درعه خطرت بباله فأمر فخرجت اليه . فلما نظر اليها أعجب بها وأعجبت به فقالت ما هذا قال أريد الخروج إلى بلاد الروم . قالت قتلتنى والله يا سيدى ثم انحدرت الدموع على وجنتيها كنظام اللؤلؤ وأنشأت تقول :

سادعو دعوة المضطر رباً يثيب على الدعاء ويستجيبُ
لعل الله أن يكفيك حرباً ويجمعنا كما تهوى القلوب

فضمها المأمون إلى صدره وأنشأ متمثلا يقول :

فيا حسنها إذ يغسل الدمع كحلها وإذ هى تذرى الدمع منها الأنامل
صبيحة قالت فى العتاب قتلتنى وقتلى بما قالت هناك تحاول

ثم قال لخادمه يا مسروراحتفظ بها واكرم محلها وأصلح لها كل ما تحتاج اليه من المقاصير والخدم والجوارى إلى حين رجوعى ثم خرج . فلم يزل الخادم يتعهدها ويصلح ما أمر به . فاعتلت علة شديدة أشفق عليها منها . ثم ورد نعى المأمون ، فلما بلغها ذلك تنفست الصعداء وأنشدت وهى تجود بنفسها

إن الزمان سقانا من مرارته بعد الحلاوة أنفاساً وأروانا
أبدى لنا تارة منه وأضحكنا ثم انثنى تارة أخرى فأبكانا
إنا إلى الله فيما لا يزال لنا من القضاء ومن تلوين دنيانا
دنيا نراها ترينا من تصرفها ما لا يدوم مصافاة وأحزانا
ونحن فيهـا كأنا لا نزايلها للعيش أحياؤنا يبكون موتانا

المأمون وجاريته

غضب المأمون يوماً على جاريته عريب المغنية ، وكان كلفاً بها فأعرض عنها وأعرضت عنه . ثم أسلمه الغرام وأقلقه الشوق حتى أرسل اليها يطلب مراجعتها فلما اجتمعا لم تلتفت اليه وكلمها فلم ترد عليه ، فأنشأ يقول

تكلم ليس يوجعك الكلام ولا يذرى بمحاسنك السلام
أنا المأمون والملك الهمام ولكنى بحبك مستهام
بحق عليك ألا تقتليني فيبقى الناس ليس لهم إمام

المأمون ويحيى بن اكثم

أصبح المأمون وعنده عبد الله بن طاهر ويحيي بن اكثم فغمز المأمون الساقى على إسكار يحيي . فسقاه حتى سكر وبين يديهم هالة من الورد دفنوه فيها ونثروا عليه زهورها، فلما رآه المأمون ضحك كثيراً وأنشد بيتين أمر أحد جواريه أن تغنيهما عند رأس يحيي ، فغنت :

ناديته وهو ميت لا حراك به مكفن فى ثياب من رياحين
وقلت قم قال رجلى لا تطاوعنى فقلت خذ قال كفى لا يؤاتينى

وجعلت تردد الصوت . فأفاق يحيي وهو تحت الورد فأنشأ يقول مجيباً

يا سيدى وأمير الناس كلهم قد جار فى حكمه من كان يسقينى
إنى غفلت عن الساقى فصيرنى كما ترانى سليب العقل والدين
لا أستطيع نهوضاً قد وهى بدنى ولا أجيب المنادى حين يدعونى
فاختر لنفسك قاض إننى رجل الراح تقتلنى والعود يحيينى

المأمون والجارية

وعد المأمون جارية أن يأتى لزيارتها وأخلفها الوعد فكتبت اليه :

أرقت عينى ونامت عين من هنت عليه

إن نفسى فاعذرنهـا أصبحت فى راحتيه
رحم الله رحيما دل عينى عليه

فلما قرأ رقعتها ضحك ولم يلبث أن زارها

المأمون وجاريته والرسول

عتب المأمون على جارية من جواريه وكان كلفاً بها فأعرض عنها وأعرضت عنه. ثم أسلمه الهوى وأقلقه الشوق حتى أرسل يطلب مراجعتها . فأبطأ عليه الوسول فلما رجع أنشأ يقول :

بعثتك مرتاداً ففزت بنظرة وأغفلتنى حتى أسأت بك الظنا
وناجيت من أهوى وكنت مبعداً فياليت شعرى عن دنوك ما أغنى
ونزهت طرفاً فى محاسن وجهها ومتعت باستطراف نغمتها أذنا
أرى أثراً منها بعينيك لم يكن لقد سرقت عيناك من وجهها حسنا
فياليتنى كنت الرسول وكنتنى وكنت الذى يقصى وكنت أنا المدنى

المأمون وأبو عيسى وقرة العين

بينما كان المأمون عازماً على الركوب ومبارحة القصر اعترضه على بن هشام قائلا يا أمير المؤمنين عندى جارية اشتريتها بعشرة آلاف دينار وقد أخذت بمجامع قلبى ، وأريد أن أعرضها على أمير المؤمنين ، فإن أعجبته ورضيها فهى له ، وإلا فيسمع منها شيئاً من الغناء . فقال الخليفة علىّ بها . فخرجت جارية كأنها قضيب بان لها عينان فتانتان وحاجبان كأنهما قوسان ، وعلى رأسها تاج من الذهب تحته عصابة مكتوب عليها

جنيــة ولها جن تعلمها رمى القلوب بقوس ما له وترُ

فلما رآها المأمون تعجب من حسنها وجمالها .وكان إلى جانبه فتى يدعى أبو موسى، فلما شاهد تلك الجارية وما هى عليه من الحسن والجمال، وقع حبها فى قلبه وبدت عليه علائم الاصفرار، فقال له المأمون: ما لك يا أبا عيسى قد تغير حالك، فقال يا أمير المؤمنين

بسبب علة تعترينى فى بعض الأوقات فقال له الخليفة أتعرف هذه الجارية قبل الآن . قال نعم يا أمير المؤمنين وهل يخفى القمر ثم قال لها المأمون ما اسمك يا جارية قالت اسمى قرة العين يا أمير المؤمنين قال لها غنى لنا يا قرة العين فأنشدت تقول

إذا كنت ترضيه ويرضيك صاحب جهاراً فكن فى الغيب احفظ للود
والغ أحاديث الوشاة فقلما يحاول واش غير هجران ذى ود
وقد زعموا أن المحب إذا دنا يمل وأن البعد يشفى من الوجد
بكل تداوينا فلم يشف ما بنا على أن قرب الدار خير من البعد
على أن قرب الدار ليس بنافع إذا كان من تهواه ليس بذى ود

فلما فرغت من شعرها قال أبو عيسى : يا أمير المؤمنين إذا افتضحنا استرحنا ، أتأذن لى فى جوابها . قال له الخليفة نعم قل ما شئت ، فكفكف دمع العين وأنشد هذين البيتين

سكت ولم أقل إنى محب وأخفيت المحبة عن ضميرى
فان ظهر الهوى فى العين منى فدانية من القمر المنير

فأخذت قرة العين العود وأطربت بالنغمات وأنشدت تقول :

لو كان ما تدعيه حقاً لما تعلقت بالأمانى
ولا تصبرت عن فتاة بديعة الحسن والمعانى
لكن دعواك ليس منها شىء سوى القول باللسان

فلما فرغت من شعرها جعل أبو عيسى يبكى وينتحب ويتوجع ويضطرب، ثم رفع رأسه وأنشد يقول :

تحت ثيابى جسد ناحل وفى فؤادى شغل شاغلُ
ولى فؤاد داؤه نائم ومقلة مدمعها هاطل
وكلما سالمنى عاقل قام لحينى فى الهوى عاذل
يا رب لا أقوى على كل ذا موت وإلا فرج عاجل

فلما فرغ أبو عيسى من شعره وثب على ابن هشام فقبله ، وقال له يا سيدى قد استجاب الله دعاك وسمع نجواك وأجابك إلى أخذها ،إن لم يكن لأمير المؤمنين غرض فيها . فقال المأمون ولو كان لنا غرض فيها لآثرنا أبا عيسى على أنفسنا وساعدناه على قصده . ثم إنه دفعها اليه فعاش معها على ما يرام

المأمون والجارية نسيم

كان المأمون مشغوفا بحب جارية تدعى نسيم وكانت ذات عقل وأدب وفضل وكمال لا يفارقها ولا يهوى سواها . ففي ذات يوم نظر الى جارية حسناء لطيفة اللون رشيقة القد فمال اليها لأنها كانت أحسن منها ،وأعرض عن جاريته نسيم .فاغتمت لذلك ولم تجد حيلة لاستعطافه . وكانت لها جارية رومية ذات عقل وأدب ولطف فكتمت أمرها عن المأمون . فاتفق أن المأمون اعتل جسمه قليلا ثم شفى فجعل الناس يدخلون عليه بأصناف التحف والهدايا ، فأهدت اليه نسيم الجارية المذكورة هدية ومعها جام بلور وغطته بمنديل فاخر مكتوب عليه بالذهب هذه الأبيات

اشرب بهذا الجام يا سيدى مستمتعاً بهــذه الجارية
واجعل لمن أهداكها زورة تحظى بهـا فى الليلة الثانية

فأعجب المأمون ما رأى من الجام والجارية ، وبعث لها بكتاب يسترضيها فيه . ثم عاد معها الى سابق الود.

محمد بن هرون وجلساؤه الثلاثة

تنفس محمد بن هرون الأمين يوماً فى مجلسه أيام الحصار ، فالتفت إلى جليس له يدعى محمد بن سلام وقال له : ويحك يا محمد أتراني ؟ قال نعم يا أمير المؤمنين ذكرت قول الشاعر :

ذكر الهوى فتنفس المشتاق وبدا عليه الذل والإطراقُ
يا من يصبرنى فاصبر بعده والصبر ليس يطيقه العشاق

فقال لا والله ما أصبتها. ثم التفت إلى جليس آخر فقال ويحك ألا ترانى ؟ قال نعم يا أمير المؤمنين ذكرت قول الأحنف

تذكرت بالريحان منك شمائلا ... وبالراح عذباً من مقبلك العذب

فقال لا والله ما أصبتها ، ثم التفت إلى كوثر الخادم فقال : ويحك أترانى ، قال نعم يا أمير المؤمنين ذكرت قول ابن نفيلة الغسانى

إن كان دهر بنى ساسان فرقهم ... فانما الدهر أطوار دهارير

وربما أصبحوا يوما بمنزلة ... تهاب صولتها الأسد المهاصير

فقال أصبتها والله ورفع منزلته .

نصيب وعبد العزيز بن مروان

دخل نصيب على عبد العزيز بن مروان . فقال له هل عشقت يا نصيب ؟ قال نعم جعلنى الله فداءك ومن العشق أفلتتنى اليك البادية؟ قال ومن عشقت، قال جارية لبنى مدلج فأحدق بها الواشون فكنت لا أقدر على كلامها إلا بعين أو إشارة فأجلس على الطريق حتى تمر بى فأراها ففى ذلك أقول :

جلست لها كيما تمــر لعلنى ... أخالسها التسليم إن لم تسلم

فلما رأتنى والوشاة تحدرت ... مدامعها خوفا ولم تتكلم

مساكين أهل العشق ما كنت أشترى ... حياة جميع العاشقين بدرهم

العاشق وعبد الملك بن مروان

قال أبو ريحانة : كان عبد الملك يجلس فى كل أسبوع يومين جلوساً عاماً ، فبينما هو جالس فى مستشرف له وقد قدمت اليه أوراقا فيها مطالب بعض المحابيس ، رأى فى ورقة منها مكتوباً (إن رأى أمير المؤمنين أن يدع جاريته فلانة تغنى ثلاثة أصوات ثم ينفذ فى ما شاء من حكمه) فاستشاط من ذلك غضباً وقال لى . علىّ بصاحب هذه الرقعة ، فأحضرته بين يديه وهو غلام جميل الطلعة حسن المحيا . فقال له عبد الملك أهذه رقعتك يا غلام . قال نعم يا أمير المؤمنين . قال وما الذى غرك منى والله لأصنعن بك

ما يردع نظرائك من ذوى الجسارة ، ثم قال علىّ بالجارية . فجيء بها من الخباء بوجه مشرق كالبدر ، وفى يدها عود لطيف الأوتار فطرح لها الكرسى فجلست فقال عبد الملك مرها يا غلام فقال لها غنى يا جارية بشعر قيس ابن ذريح

لقد كنت حسب النفس لو دام ودنا ولكنما الدنيا متاع غرور
وكنا جميعاً قبل أن يظهر الهوى بأحسن حالى غبطة وسرور
فما برح الواشون حتى بدت لنا بطون الهوى مقلوبة لظهور

فغنت فخرج الغلام يمزق ثيابه من شدة الوله . فقال له عبد الملك مرها تغنيك الصوت الثانى ، فقال غنى بشعر جميل

ألا ليت شعرى هل أبيتن ليلة بوادى القرى إنى إذاً لسعيدُ
إذا قلت ما بى يا بثينة قاتلى من الحب قالت ثابت ويزيد
وإن قلت ردى بعض عقلى أعش به مع الناس قالت ذاك منك بعيد
فلا أنا مردود بما جئت طالباً ولا حبها فيما يبيد يبيد
يموت الهوى منى إذا ما لقيتها ويحيى إذا فارقتها فيعود

فغنته الجارية فوقع الغلام مغشياً عليه ساعة ثم أفاق . فقال له عبد الملك مرها فلتغنك الصوت الثالث . فقال يا جارية غنى بشعر قيس بن الملوح المجنون

وفى الجيرة الغادين من بطن وجرة غزال غضيض المقلتين ربيبُ
فلا تحسبى أن الغريب الذى نأى ولكن من تنأين عنه غريب

فغنته الجارية فطرح الغلام نفسه ، من مستشرف . فلم يبلغ الأرض حتى تقطع ، فقال عبد الملك دعيه لقد عجل على نفسه ، ولقد كنت حسبته على غير ما أرى . ثم أمر فأخرجت الجارية من قصره ، وسأل عن الغلام . فقيل غريب لا يعرف إلا أنه منذ ثلاثة أيام كان ينادى فى الأسواق ويده على رأسه :

غداً يكثر الباكون منا ومنكم وتزداد دارى من دياركم بعدا

المتوكل وعلى بن الجهم ومظلومة

قال على بن الجهم دخلت يوماً على المتوكل فقال يا على . قلت لبيك يا أمير المؤمنين . قال دخلت إلىّ الساعة جارية وقد كتب على خدها بالمسك اسمى فوالله ما رأيت سواداً فى بياض أحسن منه فى ذلك الخد . فقل فيه شعراً فقلت أمظلومة هنا ، قال نعم وكانت مظلومة خلف الستارة ، فدعت بدواة وبادرتنى بأبيات فقالت :

وكاتبة بالمسك فى الخد جعفراً ... بنفسى مخط المسك من حيث أثرا
لإن أودعت سطراً من المسك خدها ... لقد أودعت قلبي من الحب اسطراً
فيا من لمملوك تملك مالكاً ... مطيعاً له فيما أسرّ وأظهرا
ويا من مناها فى السرائر جعفر ... سقى الله من صوب الغمامة جعفرا

فالحمت ولم أنطق وتغلبت على خواطرى ، فما قدرت على حرف أقوله .

جارية المهدى والتفاحة

أهدت جارية من جوارى المهدى تفاحة إلى المهدى مطيبة وكتبت فيها

هدية منى إلى المهدى ... تفاحة تقطف من خدى
محمرة مصفرة طيبت ... كأنها من جنة الخلد

فأجابها المهدى

تفاحة من عند تفاحة ... جاءت فماذا صنعت بالفؤاد
والله ما أدرى أأبصرتها ... يقظان أم أبصرتها فى الرقاد

المعتز بالله

كان المعتز بالله رجلا فاضلا وعاشقاً عفيفاً ، فقال يصف داء الحب فى شعر يقول :

لقد عرفت علاج الطب من وجعى ... وما عرفتُ علاج الحب والجزع
جزعت للصبر والحى صبرتُ لما ... انى لاعجب من صبرى ومن جزعى

وما أمــلّ حبيبي ليتني أبدا مع الحبيب ويا ليت الحبيب معي

وقال أيضاً :

الله يعــلم يــا حبيبي أنني مذ غبت عنك موله مكروبُ
يدنو السرور إذا دنا بك منزل ويغيب صفو العيش حيث تغيب

المكتفي بالله

قال المكتفي بالله يصف سطوة الحب وعزه وولائه

من لي بأن يعرف ما ألقى فيعرف الصبوة والعشقا
ما زال لي عبداً وحبي له صيرني عبــداً له رقا
يعتق من رق ولكنني من حبه لا أملك العتقا

المستظهر بالله

قال المستظهر بالله يصف وداع الحبيب حبيبه

أذاب حر الهوى في القلب ما جمدا يوما مــددت على رسم الوداع يدا
فكيف أسلك نهج الصبر حيث أرى طرائق الهجر في مهوى الهوى قددا

المعتضد بن عباد وجاريته العبادية

كان للمعتضد جارية أديبة ظريفة كاتبة فصيحة العبارة لطيفة الإشارة عارفة بأساليب الغناء ، وكان قد أهداها اليه مجاهد العامري ، فمال اليها ميلا شديداً وشغف بها شغفا زائداً حتى أنها ألهته عن بعض أموره ، وكانت من توقد قريحتها وحضور بديهتها ترتجل الشعر والأمثال . فبينما كانت يوما نائمة في بيتها وكان المعتضد سهران دخل عليها وهي نائمة فقال :

تنام ومدنفهــا يسهر وتصبر عنه ولا يصبر

فانتبهت من نومها وأجابته بديهة

لئن دام هذا وهذا له سيهلك وجداً ولا يشعرُ

المعتمد بن عباد والرميكية

ركب المعتمد فى النهر ومعه ابن عمار وزيره،وقد زردت الريح النهر فقال ابن عباد لوزيره أجز : « صنع الريح من الماء زرد » . فأطال الوزير الفكرة . فقالت امرأة من الموجودات على ضفة النهر « أى درع لقتال لو جمد » فتعجب ابن عباد من حسن ما أتت به مع عجز ابن عمار ، ونظر اليها فاذا هى غاية فى الحسن والجمال.فأعجبته فسألها أذات بعل أنت ؟ قالت لا ـ قال وما اسمك؟ قالت الرميكية فتزوجها وولدت أولاداً

حماد الراوية والخليفة يزيد

قال حماد الراوية كنت محباً للوليد بن عبد الملك . فلما ولى أخوه يزيد الخلافة هربت إلى الكوفة . فبينما أنا فى المسجد الأعظم إذ أتانى رسول محمد بن يوسف الثقفى وقال : أجب الأمير فدخلت عليه فقال : ورد كتاب أمير المؤمنين علىّ بحملك اليه وبالباب جوادان فركب أحدهما ودفع إلىّ كيساً فيه الف دينار وقال : هذه نفقة لمنزلك . فدخلت دمشق فى اليوم الثامن واستأذن لى الرسول، فدخلت عليه فاذا هو جالس فى دار مبلطة بالرخام الأحمر . وفيها سرادق وسط قبة حمراء وعلى رأسه جاريتان بثياب حمراء ، بيد إحداهما ابريق وبيد الأخرى نبيذ . فلما قابلته قال لى : إدن يا حماد أتدرى فيم بعثت اليك. قلت لا يا أمير المؤمنين ، قال فى بيت شعر ذهب عنى أولهُ قلت من أى بحر أو قافية . قال لا أدرى إلا أنه بيت فيه (أبريق) . فقلت فى نفسى الآن وقت اجهاد الفكرة ففكرت ساعة ثم قلت : نعم يا أمير المؤمنين لعله قول التبع اليمانى :

بكر العاذلون فى وضح الصبح م يقولون لى أما تستفيقُ
ويلومون فيك يا ابن عبيد الله م والقلب عنكم مرهوق
لست أدرى إذ أكثر العذل فيها أعدو يلومنى أو صديق
ودعوا بالصبوح يوماً فجاءت قينة فى يمينها ابريق

فصاح يزيد وقال هو والله الشعر بعينه ، وشرب وقال يا جارية اسقيه ، فسقتني كأساً أذهب ثلث عقلي، ثم استعاد الشعر وشرب وقال اسقيه . فسقتني فقلت يا أمير المؤمنين ذهب ثلث عقلي فقال سل حاجتك قبل أن يذهب الثلث الآخر، فقلت احدى هاتين الجاريتين فقال هما لك بما لها وما عليهما ومائة الف تحسن بها سيرك . ثم ناولتني الجارية كأساً فشربتها وانصرفت على أحسن حال .

محمد بن عبدالله بن طاهر والجارية والمتوكل

بينما كان محمد بن عبد الله بن طاهر فى الحج،رأى فى الطواف جارية فى نهاية الحسن فوقع حبها فى قلبه . فعمل على أخذها له وعاد إلى حيث كان . فلما قدم مدينة دار السلام شغف بها شغفاً شديداً،وأخفى أمرها وما يجده خوفاً من أمير المؤمنين المتوكل. وكان من شدة وجده بها يحتبس عندها أياما لا يظهر للناس فى خلالها، ففطن اليه سويد ابن أبى العالية صاحب البريد . وكان بينه وبين محمد منافرة لم يجد لها كيداً إلا أن كتب إلى المتوكل وهو نازل على أربعةفراسخ من بغداد كتاباً نصه: « بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد يا أمير المؤمنين فان محمد بن عبدالله بن طاهر اشترى جارية حسناء لا يفارقها أبداً ، وقد اشتغل بها عن النظر فى أمور الناس ، وعن التوقيع فى دعاوى المظلومين . ولا يأمن أمير المؤمنين من خراب يصيب بغداد مع كثرة ما فيها من الغوغاء ، فتكون العائدة سبباً لتعب سره ».ثم ختم الكتاب وسلمه إلى بعض المماليك فأوصله اليه . فلما قرأ المتوكل ذاك الكتاب نظر إلى نرجس الخادم وقال له : امض الساعة إلى محمد بن عبد الله بن طاهر ، وادخل إلى منزله بغتة من غير إذن ، وانظر إلى ما يصنع ، ثم خذ منه جاريته فلانة وائت بها من غير تأخير . فحضر نرجس من ساعته ودخل على محمد بن طاهر دون أن يطلب الإذن. فلم يشعر محمد إلا وهو واقف أمامه ، فتغير وجهه وامتقع لونه وفاضت عيناه وارتعدت فرائصه لعلمه أن نرجساً ما دخل عليه من غير إذن إلا وقد أضمر له السوء فقال له يا نرجس ما الذى أتى بك ؟ قال

أمير المؤمنين أمرنى أن آخذ جاريتك هذه . قال يا نرجس هذا اليوم قد حضر شره وغاب خيره ، وقد ترى ما نحن فيه ،وأنا لا أخالف ما أمر به أمير المؤمنين . ثم أمر للخادم بكرسى فجلس عليه بعد أن امتنع ساعة،وقال إن مثلى لا يجلس مع مثلك.ثم ان محمداً نظر إلى الجارية وبكى بكاءاً شديداً وقال لها : غنى لأتزود منك فأخذت العود وغنت بصوت حزين

لله مَن لمعذبين رماهما بشماتة العذال والحساد
أما الرحيل فحين جد تحملت مهج النفوس به من الأكباد
من لم يبت والبين يصدع شمله لم يدر كيف تفتت الأكباد

ثم أنهما أعلنا بالبكاء والنحيب والشهيق ، فرحمهما الخادم ورقّ لهما حين عاين ما حلّ بهما ، فقال أيها الأمير إن رأيت أن أمضى وادعكما على ما أنتما عليه ، وأتعلل عنكما لأمير المؤمنين فعلت . فقال يا نرجس من خلفه مثل أبى سويد ، كيف يمكنه التعلل ؟ ولكن ارفق بنا.فقالت الجارية والله يا سيدى لا ملكنى غيرك أبداً ، ولئن دفعتنى اليه لأقتلن نفسى . فقال لها محمد لو كان غير أمير المؤمنين لكان فى ذلك أوسع حيلة . ولقد وددت أن يأخذ أمير المؤمنين جميع ما أملك ويعزلنى عن عملى ويبيعك لى ، ولكن هذا قضاء الله وقدره . ثم التفت إلى نرجس وقال: لقد شاهدت منى ومن هذه الجارية ما شهد قلبك علينا بالمحبة والمودة والألفة ، وليس يخفى عليك أن عمل المعروف يقى مصارع السوء ، ومثلك من يصنع المعروف مع مثلى ، فخذها وامض بها إلى أمير المؤمنين وقل ما شئت مما يليق بمروءتك . ثم التفت اليها وقبلها وبكى وبكت وبكى نرجس،ثم أخذها وخرج وهى تبكى وتخمش وجهها، ثم سار حتى دخل بها على أمير المؤمنين فلما رآه قال ما وراؤك . قال ورائى يا أمير المؤمنين كل بلية ثم انه جلس بين يديه وقص عليه حالها ولم يخف شيئاً فقال المتوكل كل هذا الوجد يجده محمد من هذه الجارية . فقال يا أمير المؤمنين والذى خفى أكثر

مما ظهر وما أظنه يعيش بعدها . فرقّ له قلب المتوكل وقال : يا نرجس ارجع بها إليه الساعة من وقتك هذا ، وأدركه قبل أن تزهق روحه ، وقد أمرت له بمائة ألف درهم ، ولها مع ذلك مثله ، وجعلت أمر أبي سويد اليه يصنع به ما يشاء . ثم كتب له توقيعاً بذلك دفعه إلى نرجس . فرجع الخادم بالجارية والتوقيع ولم يتمهل حتى دخل عليه ، فوجده عرياناً يتقلب على الثرى من شدة الكرب والوجد ، وقد أحدقت به الجوارى يروّحنه بالمراوح ، فقال أبشر يا محمد إن أمير المؤمنين قد ردّ جاريتك عليك من غير أن يوقع نظرهُ عليها ، وقد حكمك فى أبى سويد ثم ناوله التوقيع بذلك ودخلت الجارية عليه فوثب اليها وعانقها وقبلها ساعة ، ثم خرج لجلس على باب داره وبعث إلى أبى سويد . فلما حضر دفع اليه التوقيع ، فلما قرأه قال أعوذ برضاك من سخطك وبعفوك من عقوبتك ، وإن تهدم منى ركناً أنت شيدته وتصنع معى جميلا فمثلى من هفا ومثلك من عفا ثم قام وقبّل الأرض بين يديه . فقال له محمد لا أبدل نعمة الله كفراً ثم أمر له بخمسين ألف درهم فقالت الجارية وأنا أيضاً أهب له مثل هذه الهبة مما وهبه لى أمير المؤمنين . ثم ذهب أبو سويد وبقيا بعد ذلك فى أطيب عيش وأحسن حال

عمر بن عبد العزيز وامرأته

كتبت امرأة عمر بن عبد العزيز إلى عمر لما اشتغل عنها بالعبادة :

ألا يا أيها الملك الذى قد سبى عقلى وهام به فؤادى
أراك وسعت كل الناس عدلا وجرت علىّ من بين العبادِ
وأعطيت الرعية كل فضل وما أعطيتنى غـــير السهاد

فلما قرأ الأبيات صرفه وجههُ اليها

عبد الله بن الأمين

كان عبد الله بن الأمين جميلا فاضلا ، فرأى يوماً فتاة لطيفة فأنشد فيها :

جازَ على وجنته مدمعهُ وزال عمن قد رجا مطمعهْ
فى حب ظبي لك من وجهه إذا تجلى قمر يطلعه
قد أعطى الحسن مليكا فما أصبح عنه أحد يمنعه
فى خدِّهِ من صدغهِ عقرب تلسع من شاء ولا تلسعه

هرون بن المعتصم

قال هرون بن المعتصم فى فتاة حسناء كان قد رآها ووقع فى حبها وهواها

وشادن يفضح بدر الدجى والبدر فى ليلته يزهرُ
يجحد أنى مستهام به فهو لقولى أبداً ينكر
وقد كسانى سقمى حلة تظهر من وجدى الذى أفكر
يكفيك منى شاهد أننى اليك من دون الورى أنظر

أبو يحي القاضى وأحد الخلفاء

كان أبو يحي القاضى فى زمان أحد الخلفاء . وكان لا يشرب الخمر بل ينهى دائما عن شربه حتى أنه نهى الملك نفسه . فاغتاظ الملك لهذا الأمر وأضمر ذلك فى نفسه وكان عنده جاريه حسناء تدعى « نصيبين » لطيفة القد فاتنة الملامح فدعا بها يوما وقال يا نصيبين اذهبى غداً إلى البستان ، واصعدى إلى المقصورة العالية ، فاننى من الآن أهيء هناك من المأكول وغيره ما يصلح للمقام . فادخلى المخدع الذى يقاربها ، واختبئ فيه حين قدومى مع أبي يحي القاضى . وبعد الفراغ من الطعام أذهب أنا إلى البستان وأدع لك أبا يحي وحيداً فى القصر . فاخرجى أنتِ وأصلحى العود وقدمى بين يديه المدام ، وزيدى فى الغناء له حتى يذهب عن هداه . فقالت سمعاً وطاعة أيها الملك . وفى الغد دخلت البستان وفعلت ما أمرها به ولم يمضِ إلا القليل حتى جاء الملك مع

أبي يحي القاضي لجلسا يتسامران إلى أن حضر الطعام فأكلا ثم قام الملك وقال يا أبا يحي ابق هنا إلى أن أعود اليك . ثم نزل إلى البستان وأشار إلى نصيبين فخرجت للحال وسلمت على أبي يحي ، فرد عليها السلام ، فأخذت العود وأصلحت أوتاره وغنت

نظري إلى وجه الحبيب نعيمُ وفراق من أهوى عليّ عظيمُ
وأنا الذي ما كنت أرحم عاشقاً حتى عشقت وها أنا المرحوم
يا غارس الريحان حول خيامنا لا تغرس الريحان لست تقيم
ما كل من ذاق الهوى عرف الهوى أو كل من شرب المدام نديم
ما لي لسان أن أقول ظلمتني والله يعلم أنني مظلوم

فطرب أبو يحي من غنائها ، ولاحت عليه علائم الانبساط ، فلما آنست منه ذلك رمت العود من يدها وأخذت الجام وسكبت المدام ، وقدمت له كأساً منها . فامتنع أبو يحي عن أخذها فصارت تلاعبه تارة وتمازحه أخرى إلى أن شرب منها وما زالت تهيجه بغناها حتى ترنح من الطرب ، فصار يطلب منها كأساً بعد أخرى حتى أخذ منه السكر ومالت به هزة الطرب ، فاستلقى على ضمة من زهر الرياحين وهو غائب عن وجوده . وإذا بالملك أقبل فرآه على ذي الحال فناداه قائلا :

مالي أنادي أبا يحي فينبيني سكران مطروح ما بين الرياحين

فأجابه على الفور :

ما أنت ربي على ذنبي تحاسبني ولا نبيا لطرق الحق يهدينا
ما قال ربك ويل للألى سكروا بل قال ربك ويل للمصلينا
أنعم عليّ بما أوعدتني كرما واجعل نصيبي من الدنيا نصيبينا

فعجب الملك من ذكائه ودفع اليه تلك الجارية .

يزيد بن عبد الملك وجاريته حبابة

كان ليزيد بن عبد الملك بن مروان الأموى جارية مدنية صبيحة الوجه مليحة النادرة لطيفة المحاضرة خفيفة الروح غردة الصوت شجية الغناء عالمة بصنعة العود، وكان يزيد مغرما بها شديد الهيام بحبها، نخلع العذار وانقطع اليها الليل والنهار وكانت لديه الأميرة المطلقة تعزل من تشاء وتولى من تشاء فاشتهر أمره وشاع ذكرها وذكره، إلى أن نزل معها ذات يوم باحدى قرى الشام، ونظر إلى غلامه قائلا:

ويحك لا تمكن أحداً من الوقوف ببابى، ولا تدع إنساناً يخرق حجابى. ثم خلا بحبابة وما برح معها فى لهو وطرب إلى أن تواسط النهار فدعا بطبق رمان تناثرت على سطحه الحبوب تناثر اللؤلؤ على الأعناق وقدمه اليها فشرقت حبابة بحبة منه ذهبت بروحها إلى عالم العدم. فصاح يزيد صيحة الألم وطارت نفسه بأثرها شعاعا، وطفق يعض أنامله جزعا والتياعاً وما زال يقبلها وينوح عليها إلى أن أدركها الفساد فأودعوها الثرى حتم أنفه وهو يدمى بثناياه باطن كفه، ويردد الأنين والحسرات حتى شرب كاس المنون فدفنوه حذاءها ولسان حاله يقول

أموت على أثر الحبيبة ظاعناً ليجتمع الروحان فى عالم الخلد

ومما قاله فيها أثر فراق:

ابلغ حبابة أسقى ربعها المطر ما للفؤاد سوى ذكراكم وطرُ
إن سار صحبي لم أملك تذكرهم أو عرّسوا فهموم النفس والسهر

ومما قالت له قبل موتها

إذا أنت لم تعشق ولم تدر ما الهوى
فكنْ حجراً من يابس الصخر جلمدا
فما العيش إلا ما يلذ ويشتهى
وإن لام فيه ذو الشنان وفندا

علية ابنة المهدى العباسية

كانت ظريفة الوجه عفيفة النفس ذات صبابة وأدب بارع ، وكانت تهوى غلاماً يدعى طلّ فنهاها عنه أخوها الرشيد فلم تنته . فخلف أنها لا تذكره ، ثم تسمع عليها يوما فوجدها وهى تقرأ القرآن فى آخر سورة البقرة ، حتى بلغت قوله تعالى : « فإن لم يُصبها وابل فما نهى عنه أمير المؤمنين فدخل الرشيد وقبّل رأسها وقال لها قد وهبتك طلا ولا منعتك بعدها عما تريدين

ولما خرج الرشيد إلى الرى أخذها معه فلما وصلت إلى المرج وبعدت عن الحبيب أنشدت تقول :

كتمت اسم الحبيب عن العباد ورددت الصبابة فى فؤادى
فوا شوق إلى أيام خلى لعلى باسم من أهوى أنادى

فلما بلغت الحى وآنست قرب الحبيب خف عنها بعض الوجد الذى كان عندها ، ففى ذات يوم بينما كانت فى بيتها وأخوها إلى جانبها ، جاءتها عريب وجاءها يعقوب وكان أحذق الناس بالمزمار ، فلحّ عليها بالغناء . فغنت شعراً لها

تحبب فإن الحب داعية الحب وكم من بعيد الدار مستوجب القرب
تبصر فان حُدثت أن أخا الهوى نجا سالما فارج النجاة من الحرب
إذا لم يكن فى الحب سخط ولا رضا فأين حلاوات الرسائل والكتب
وأطيب أيام الفتى يومه الذى يروّع بالهجران فيه وبالعتب

ثم أنشدت :

لم ينسينك سرور لا ولا حزن وكيف لا كيف ينسى وجهك الحسنُ
ولا خلا منك لا قلبى ولا جسدى كلى بكلك مشغول ومرتهن
وحيدة الحسن مالى عنك من كلف نفسى بحبك إلا الهم والحزن
نور تولد من شمس ومن قمر حتى تكامل فيه الروح والبدن

فطرب الجميع من رقتها ورخامة صوتها وعذوبة ألفاظها .

المهدى والرجـــل

دخل أحدهم إلى مقصورة إحدى جوارى المهدى. فلما كان خارجا اعترضه الحاجب وشكاه إلى أمير المؤمنين، فأمر بإحضاره وسأله عن دخوله وكيف كان وما شأنه فقال: إن هذه الجارية كانت لوالدتى، وكان بينى وبينها ألفة، فلما بيعت لأمير المؤمنين صرت إلى الباب متعرضاً لها فأذنته فى الدخول، فدخلت على أحد أمرين: إما أن أراها فأشتفى من ألم البعاد، أو أقتل فأستريح من هذه الحياة فأمر المهدى بإحضار سياط ونصبه بينها. ثم ضربه عشرين سوطاً ورفع عنه الضرب وقال: ما أصنع بتعذيبك ولست بتاركك حياً ولا تاركها، ياغلام سيف ونطع، فلما أتى بذلك وأجلس الغلام فى النطع قال: يا أمير المؤمنين قبل أن يحل بى الهلاك وهو دون حتى اسمع منى ما أقول. قال هات فأنشأ يقول

ولقد ذكرتك والسياط تنوشنى   عنـــد الامام وساعدى مغلول

ولقد ذكرتك والذى أنا عبده   والسيف بين ذوائبى مســـلول

فأطرق المهدى وتغرغرت عيناه بالدموع. ثم قال ياغلام خل السيف جانبا وحل قيوده واخرجه مع من يحبها من هذا المكان.

جارية يزيد بن عبد الملك والشاب

كانت عند يزيد بن عبد الملك جارية حسناء، نحيلة القد كاملة العقل والأدب فعظم حبه لها وأخذت بمجامع قلبه، فقال لها يوماً ويحك أما لك قرابة أو أحد تحبين أن أضيفه أو أسدى إليه معروفاً قالت يا أمير المؤمنين ليس لى قرابة ولكن بالمدينة ثلاثة أشخاص كانوا أصدقاء لمولاى، أحب أن ينالهم مثل ما نالنى من الخير. فكتب إلى عامله بالمدينة فى إحضارهم إليه، وأن يدفع إلى كل واحد منهم عشرة آلاف درهم فلما وصلوا إلى باب يزيد استؤذن لهم فى الدخول عليه فأذن لهم وأكرمهم غاية الاكرام، وسألهم عن حوائجهم. فأما إثنان منهما فذكرا حوائجهما فقضاها، وأما

الثالث فسأله عن حاجته فقال يا أمير المؤمنين ما لى حاجة قال ويحك أولست أقدر على حوائجك . قال بلى يا أمير المؤمنين ، ولكن حاجتى ما اظنك تقضها . فقال ويحك فاسألنى فإنك لا تسألنى حاجة أقدر عليها إلا قضيتها قال فلى الأمان يا أمير المؤمنين قال نعم قال إن رأيت يا أمير المؤمنين أن تأمر جاريتك التى أكرمتنا بسببها ان تغنى ثلاثة اصوات بما اقترح عليها من الشعر فتغير وجه يزيد ونادى بالجارية ، فحضرت فقال حاجتك . فقال يا أمير المؤمنين مرها تغنى بهذا الشعر :

لا أستطيع سلواً عن مودتها أو يصنع الحب بى فوق الذى صنعا
أدعو إلى هجرها قلبي فيسعدنى حتى إذا قلت هـذا صادق نزعا

فأمرها فغنت ثم قال للفتى سل حاجتك فقال مرها يا أمير المؤمنين أن تغنى بهذا الشعر :

تخيرت من نعمان عودا اراكة لهند ولكن من يبلغه هنـدا
ألا عـرجا بى بارك الله فيكما وان لم تكن هند لأرضكما قصدا

فأمرها فغنته . ثم قال للفتى سل حاجتك . فقال تأمرها يا أمير المؤمنين أن تغنى بهذا الشعر

منى الوصال ومنكم الهجر حتى يفرق بيننا الدهـرُ
والله لا اسـلوكم ابدا ما لاح بدر أو بدا قمـر

فأمرها فغنت فلم تتم الأبيات حتى خر الفتى مغشياً عليه فقال يزيد للجارية قومى أنظرى ما حاله . فقامت إليه فحركته فإذا هو ميت ، فقال يزيد ابكه . فقالت لا أبكيه يا أمير المؤمنين وأنت حى فقال لها ابكيه فوالله لو عاش ما انصرف إلا بك ، فبكت الجارية وبكى أمير المؤمنين . ثم أمر بالفتى فدفن ، وأما الجارية فلم تلبث أن ماتت على أثره .

ابرهيم بن المهدى وجارية بنت عصمة

اختفى ابرهيم بن المهدى زمن المأمون عند بنت عصمة بنت أبي جعفر ، حين هربه من المأمون لشدة طلبه له وكانت تكرمه غاية الاكرام وتلاطفه بأشهى الطرائق وتتفقده فى أوقاته ، ووكلت به جارية يقال لها ملك ، وكانت قد أدبتها ، وأنفقت عليها الأموال ، وكانت جميلة الصوت راوية الأشعار ، بارعة الجمال حسنة القد عاقلة ، فكانت تتولى خدمة ابرهيم وتقوم على رأسه تتفقد أموره ، فأحبها كثيراً وكتم ذلك عن ربة البيت . فلما اشتد وجده وغلب حبها على فؤاده ، أخذ عوداً وغنى فيها شعراً له وهى واقفة أمام عينيه :

يا غزالا لى إليــــه ‌ ‌ ‌ ‌ شــــافع من مقلتيه
والذى أجللت خـ ‌ ‌ ‌ ‌ ـديه فقبلت يديه
بأبى وجهك ما أكـ ‌ ‌ ‌ ‌ ـثر حسادى عليه
أنا ضيف وجزاء الضـ ‌ ‌ ‌ ‌ ـيف إحسان إليه

فسمعت الجارية الشعر وفطنت لمعناه لرقة قلبها وظرف شمائلها وكانت مولاتها تسألها عن حالها وحاله فى كل يوم ، فأخبرتها ذلك اليوم بما فى قلبه منها وما سمعت من شعره غناءً . فقالت لها مولاتها اذهبى فقد وهبتك له ، فعادت إليه ، فلما رآها أعاد الصوت فأكبت عليه الجارية وقبلت رأسه ، فقال لها كفى فقالت قد وهبتنى مولاتى لك ، فسر كثيراً لنيل بغيته

القسم الثانى

فى نوادر بنى عذرة

جميل بن معمر العذرى وحبيبته بثينة

خرجت بثينة يوماً ، وكانت النساء إذ ذاك يتزين ويجتمعن ويدنو بعضهن لبعض ويبدون للرجال فى كل عيد ، فجاء جميل فوقف على بثينة واختها أم الحسين فى نساء من بنى الأحب ، فرأى منهن منظراً لطيفاً فقعد معهن ثم انصرف وكان معه فتيان من بنى الأحب ، فعلم ان القوم قد عرفوا فى نظره حب بثينة ووجدوا عليه فراح وهو يقول :

عجل الفــراق وليته لم يعجل وجــرت بوادر دمعك المتهلل
طرباً وشاقك ما لقيت ولم تخف بين الحبيب غــداة برقة محول
وعرفت انك حين رحت ولم يكن بعــد اليقين وليس ذاك بمشكل
لن تستطيع إلى بثينة رجعة بعــد التفرق دون عام مقبل

ثم قال فيها بيتين من قصيدة يصفها بها

هى البدر حسناً والنساء كواكب وشتان ما بين الكواكب والبدر
لقد فضلت بثن على الناس مثل ما على الفشهر فضلت ليلة القــدر

فلما سمعت بثينة بهذه الأبيات، حلفت بالله أن لا يأتيها على خلوة إلا خرجت إليه وإنها لن تتوارى منه . فكان يأتيها عند غفلات الرجال فيتحدث معها ومع اخوتها ، فنمى إلى رجالها ذلك وكانوا قوماً غيارى ، فرصدوه وعزموا على قتله . فجاء على ناقته الصهباء إلى بثينة وأم الحسين ، فأخذا يحدثانه فنظر إليهما وأنشد :

لقد ظن هذا القلب ان ليس لاقيا سليمى ولا أم الحســين لحين
فليت رجالا فيك قد ندروا دمى وهموا بقتــلى يابثين لقونى

فبينما هو على تلك الحال ، إذ وثب عليه القوم فأطلق عنان الناقة فخرجت من بينهم كالسهم ، ونجى من ظبا سيوفهم .

وعد بثينة لجميل

وعدت بثينة جميلا يوماً أن يلتقيا فى بعض المواقع فعلم بذلك قومها فحرسوها ومنعوها من الخروج خارجاً ، فأتى جميل لوعدها وقعد ينتظر فلم يرَ لها وجهاً ، فجعل نساء الحى يقرعنهُ بذلك ويقلن له : إنما حصلت منها على الباطل والكذب والغدر وغيرها أولى بك ، كما أن غيرك قد صار أولى بها . فأنشد :

فلربّ عارضة علينا وصلها ... بالجد تخلطهُ بقول الهازلِ
فأجبتها فى القول بعد تستر ... حبي بثينة عن وصالك شاغلى
لو كان فى صدرى بقدر قلامة ... فضلا وصلتك أو أتتك رسائلى
ويقلن إنك قد رضيت بباطل ... منها فهل لك فى اجتناب الباطل
ولباطل ممن أحب حديثه ... أشهى إلىّ من البغيض الباذل
ليزلن عنك هواى ثم يصلننى ... وإذا هويت فما هواى بزائل
أبثين إنك قد ملكت فاسجحى ... وخذى بحظك من كريم واصل

تأخير بثينة عن وعدها لجميل

وعدت بثينة جميلا بخلوة يجتمعان بها ، وتأخرت عن إيفاء الوعد فحزن جميل وأنشد يقول

يا صاح عن بعض الملامة أقصرِ ... إن المنى للقاءِ أم المسورِ
وكأن طارقها على علل الكرى ... والنجم وهناً قد دنى لتهور
يستاف ريح مدامة معجونة ... بذكى مسك أو سحيق العنبر
إنى لأحفظ غيبكم ويسرنى ... إذ تذكرين بصالح أن تذكرى
ويكون يوم لا أرى لك مرسلا ... أو نلتقى فيه علىّ كأشهر

يا ليتني ألقى المنية بغتة إن كان يوم لقائكم لم يقدر
أو أستطيع تجلداً عن ذكركم فيفيق بعض صبابتي وتفكري
لو قد تجني كما أجنّ من الهوى لعذرت أو لظلمت إن لم تعذري
والله ما للقلب من علم بها غير الظنون وغير قول المخبر
لا تحسبي إني هجرتك طائعاً حدث لعمرك رائع أن تهجري
فلتبكيني الباكيات وإن أبح يوماً بسرك معلناً لم أعذر
بهواك ما عشت الفؤاد فإن أمت يتبع صداي صداك بين الأقبر
إني إليك بما وعدتْ لناظر نظر الفقير إلى الغني المكثر
يعد الديون وليس ينجز موعداً هذا الغريم لنا وليس بمعسر
ما أنت والوعد الذي تعدينني إلا كبرق سحابة لم يمطر
قلبي نصحت له فردّ نصيحتي فتى هجرتيه فمنه تكثري

لقاء جميل وبثينة

قال جميل يوماً لأحد أترابه : هل لك فى مساعدتى على لقاء بثينة . فمضى معه حتى كمن له فى الوادى ، وأرسل معه خاتمه إلى راعى بثينة ودفعه إليه فمضى به إليها ثم عاد بموعد منها إليه فلما جن الليل جاءته فتحدثا طويلا حتى أصبحا ثم ودعها وركب ناقته وهى باكية . فقالت بثينة إدن منى يا جميل ، فدنا منها وقال

ان المنازل هيجت أترابى واستعجمت آياتها بجوابى
فترى تلوح بذى اللجين كأنها أنضاء رسم أو سطور كتاب
لما وقفت بها القلوص تبادرت منى الدموع لفرقة الأحباب
وذكرت عصراً يا بثينة شاقنى وذكرت أيامى وشرخ شبابى

جميل وبثينة وكثّير عزة

قال كثير لقينى جميل مرة فقال لى من أين أقبلت قلت من عند أبى الحبيبة أعنى بثينة . فقال وإلى أين تمضى . قلت إلى الحبيبة . أعنى عزة . فقال لا بد أن ترجع

عودك على بدئك فتستجدى لى موعداً من بثينة . فقلت عهدى بها الساعة ، وأنا أستحى أن أعود . فقال لا بد من ذلك . فقلت فتى عهدك بها قال فى أول العيد وقد وقعت سحابة بأسفل وادى الردم فخرجت ومعها جارية لها تغسل ثيابها ، فلما أبصرتنى أنكرتنى وضربت بيدها فى الماء فالتحفت به تستراً . وعرفتنى الجارية فأخبرتها ، فتركت الثوب فى الماء وتحدثنا حتى غابت الشمس ، وسألتها الموعد فقالت أهلى سائرون وما وجدت أحداً غيرك يا كثير حتى أرسله اليها ، فقال له كثير فهل لك فى أن آتى الحى فأنزع بأبيات من الشعر أذكر فيها هذه العلامة إن لم أقدر على الخلوة بها . قال ذلك الصواب . فأرسله اليها فذهب وقال انتظرنى حتى أعود ثم سار حتى أناخ بهم فقال له أبوها ما ردّك يا كثير قال ثلاثة أبيات عرضت لى فأحببت أن أعرضها عليك قال هاتها . قال كثير فأنشدته وبثينة تسمع من وراء الخدر

فقلت لها يا عز أرسل صاحبى اليك رسولا والموكل مرسلُ
بأن تجعلى بينى وبينك موعداً وأن تأمرينى بالذى فيه أفعل
وآخر عهدى منك يوم لقيتنى بأسفل وادى الردم والثوب يغسل

فضربت بثينة صدرها وقالت : اخسأ اخسأ . فقال أبوها ، مهيم يا بثينة . قالت مثله يأتينا إذا نام الناس من وراء هذه الرابية ثم التفتت إلى الجارية وقالت : ابغى من الدومات حطباً ، واذبحى لكثير شاة وسويها له . فقال كثير أنا أعجل من ذلك وخرج وراح إلى جميل فأخبره . فقال له جميل الموعد الدومات بعد أن تنام الناس وكانت بثينة قد قالت لأختها أم الحسين وليلى ونجيا بنات خالتها ، انى قد رأيت فى نحو نشيد كثير أن جميلا معه وكانت قد آنست الهن واطمأنت بهن وكاشفتهن بأسرارها فخرجن معها . وكان جميل وكثير خرجا حتى أتيا الدومات وجاءت بثينة ومن معها فما برحوا حتى برق الصبح فكان كثير يقول : ما رأيت عمرى مجلساً قط أحسن من ذلك المجلس ، ولا مثل علم أحدهما بضمير الآخر ولم أدر أيهما كان أفهم .

ندر أهل بثينة دم جميل

لما ندر أهل بثينة دم جميل وأهدره لهم السلطان ضاقت الدنيا بجميل

فكان يصعد بالليل كثيب رمل ، ويتنسم الريح من حي بثينة ويقول :

أيا ريح الشمال أما تريني أهيم وانني بادي النحول
هبي لى نسمة من ريح بثن ومني بالهبوب إلى جميل
وقولى يا بثينة حسب نفسي قليلك أو أقل من القليل

فإذا ظهر الصبح انصرف . فكانت بثينة تقول لجوار من الحي عندها ويحكن إنى لأسمع أنين جميل من بعض الغيران فيقلن لها اتقى الله فهذا شيء يخيله لك الشيطان لا حقيقة له .

لقاء جميل وكثير عزة

اجتمع كثير بجميل يوماً فقال له : يا جميل أرى بثينة لم تسمع قولك

يقيك جميل كل سوء اماله لديك حديث أو اليك رسولُ
وقد قلت فى حبي لكم وصبابتى محاسن شعر ذكرهن يطول
فإن لم يكن قولى رضاك فعلمى هبوب الصبا يا بثن كيف أقول
فما غاب عن عيني خيالك لحظة ولا زال عنها والخيال يزول

فقال جميل : أترى عزة يا كثير لم تسمع بقولك

يقول العدا يا عز قد حال دونكم شجاع على ظهر الطريق مصممُ
فقلت لها والله لو كان دونكم جهنم ما راعت فؤادى جهنم
وكيف يروع القلب يا عز رائع ووجهك فى الظلماء للسفر معلم
وما ظلمتك النفس يا عز فى الهوى فلا تنقمى حبي فما فيه منقم

فبكيا ليلتهما إلى أن بزغ الصباح ثم انصرفا

احتجاب بثينة عن جميل

خرج جميل لزيارة بثينة ذات يوم فنزل قريباً من الماء يترصد أمة لبثينة أو راعية يتخذها واسطة لتبليغ رسالته ، وإذا بأمة معها قربة واردة على الغدير لتملأها .

وكانت عارفة به . ولما تبينها وتبينته سلمت عليه وجلست معه ، وجعل يحدثها ويسألها عن أخبار بثينة ويخبرها بما يعانيه من ألم الفراق ويحملها رسائله إلى بثينة ثم أعطاها خاتمه وسألها أن تدفعه لها ، وأخذ عليها موعداً ترجع له فيه ، ومكث ينتظر رجوعها فذهبت الجارية إلى أهلها وقد أبطأت عليهم . فلقيها أبو بثينة وزوجها وأخوها فسألوها عما أبطأ بها . فالتوت عليهم ولم تخبرهم بشيء عما حصل لها مع جميل وتعللت عليهم . فضربوها ضرباً مبرحاً ، ومن ألم الضرب أعلمتهم حالها مع جميل ودفعت اليهم خاتمه . وصدف أنه مرّ بها في تلك الحالة اثنان من بني عذرة ، فسمعا القصة جميعاً وعرفا الموضع الذي فيه جميل . فاحبا أن يدرآ عنه هذا الخطر فقالا للقوم انكم إن لقيتم جميلا وليست بثينة معه ثم قتلتموه ، لزمكم في ذلك كل مكروه وكان أهل بثينة أعز بني عذرة . فدعوا الأمَة وأعطوها الخاتم وأمروها أن توصله إلى بثينة ، وحذروها من أن تخبرها بأنهم علموا القصة ، ففعلت ولم تعلم بثينة بما جرى . ومضى الفتيان فأنذرا جميلا وقالا : تقيم عندنا في بيوتنا حتى يهدأ الطلب ، ثم تبعث اليها فتزورك وتقضي من لقائها وطراً وتنصرف آمناً سليما . فقال أما الآن فابعثا اليها من ينذرها . فأتياه براعية لها وقالا له قل حاجتك . فقال ادخلي وقولي لها اني أردت اقتناص ظبي ، فحذره مني جماعة اعتوروه من القناص ففاتني الليلة . فمضت فأعلمتها ما قال لها فعرفت قصته وبحثت عنها ففهمتها تماما ، فلم تخرج لزيارته تلك الليلة ورصدوها فلم تبرح من مكانها ومضوا يقتفون أثره فوجدوا ناقته فعرفوا أنه قد فاتها اما جميل فانه زاد شوقاً وحزناً وفاضت عبراته فأنشد :

أبى القلب إلا حب بثنة لم يرد سواها وحب القلب بثنة لا يجدي
إذا ما دنت زدت اشتياقاً وإن نأت جزعت لنأي الدار منها وللبعد
سلي الركب هل عجنا لمغناك مرة صدور المطايا وهي موقرة تخدي
وهل فاضت العين الشروق بمائها لأجلك حتى اخضلّ من دمعها ردي
وإني لأستجري لك الطير جاهداً لتجري بيمن من لقائك من سعدي
واني لأستبكي إذا الركب غردوا بذكرك ان يحيا بك الركب إذ تحدي
فهل تجزيني أم عمرو بودها فان الذي اخفي بها فوق ما أبدي

وكل محب لم يزل فوق جهده وقد زدتها فى الحب مني على الجهد

ولما ضاقت بأهل بثينة الحيل ائتمنوا عليها عجوزاً منهم يثقون بها يقال لها أم منظور فجاءها جميل وقال لها أريني بثينة . فقالت لا والله لا أفعل ، وقد ائتمنوني عليها . فقال أما والله لأضرنك فقالت المضرة والله فى أن أريكها فخرج من عندها وهو يقول :

ما أنس لا أنس منها نظرة سلفت بالحجر يوم جلتها أم منظور
ولا استلابتها خرساً جبائرها إليّ من ساقط الأوراق مستور

فما كان إلا القليل حتى انتهى اليهم هذان البيتان فتعلقوا بأم منظور فحلفت لهم بكل يمين . فلم يقبلوا منها وعاقبوها على ذلك

زيارة جميل بثينة متنكراً

جاء جميل إلى بثينة ليلة وقد تزيا بزى راع لبعض الحى ، فوجد عندها ضيوفا فانتبذ ناحية وجلس فيها . فسألته من أنت . فقال مسكين . فعشت ضيفانها وعشته وحده ، ثم جلست هى وجارية لها تجاه النار تصطليان واضطجع القوم منتحين فقال جميل

هل البائس المحزون دان فمصطل من النار أو معطى لحافاً فلابس

فقالت لجاريتها : صوت جميل والله اذهبي فانظري . فذهبت ثم رجعت وقالت : هو والله جميل ، فشهقت شهقة سمعها القوم . فأقبلوا يجرون وقالوا مالك . فطرحت برداً لها فى النار عمداً وقالت احترق بردى فرجع القوم وأرسلت جاريتها إلى جميل فجاءتها به . فأبقته عندها ثلاثة أيام ثم ودعها وخرج .

وشاية الخادم بجميل وبثينة

رصد جميل بثينةً فى نجع لبنى عذرة ، حتى إذا صادف منها فرصة وهى مارة مع أترابها فى ليلة ظلماء ذات رعود وأمطار ، حذفها بحصاة فأصابت بعض أترابها ففزعت وقالت : والله ما حذفني فى مثل هذا الوقت إلا الجن . فقالت لها بثينة وقد فطنت

انصرفى إلى منزلك حتى نذهب إلى النوم فانصرفت وبقى مع بثينة أم الحسين وأم منظور فقامت إلى جميل فأخذته إلى الخباء معها وتحدثا طويلا ، وما زالا على ذى الحال إلى أن أسفر الصباح فجاء غلام زوجها بصبوح من اللبن بعث به اليها زوجها . فلما رآها مع جميل منفردة مضى لوجهه حتى يخبر سيده ، فرأته ليلى والصبوح فى يده ، وكانت قد عرفت خبر بثينة وجميل ، فاستوقفته كأنها تسأله عن حاله ، وبعثت بجاريتها لها وقالت : حذرى بثينة وجميلا فجاءت الجارية فنبهتهما . فلما تبينت بثينة الصبح قد أضاء والناس متنكرين ارتاعت وقالت يا جميل نفسك نفسك فقد جاءنى غلام زوجى بصبوحى من اللبن فرآنا سويا فقال لها وهو غير مكترث : على مَ الخوف وأنشد

لعمرك ما خوفتنى من مخافة بثين ولا حذرتنى موضع الحذرْ
فاقسم لا يلفى لى اليوم غرة وفى الكف منى صارم قاطع ذكر

فاقسمت عليه أن يلقى نفسه تحت النضد وقالت : إنما أسألك ذلك خوفاً على نفسى من الفضيحة لا خوفاً عليك ففعل ما أمرته به وأتت بأم الحسين إلى جانبها ثم ذهبت خادمة ليلى فأخبرتها الخبر فتركت العبد يمضى إلى سيده فمضى والصبوح معه وقال : رأيت جميلا مع بثينة فى خباء واحد فمضى إلى أخيها وأبيها وأخبره الخبر وأخذهما وأتى بهما إلى خباء بثينة فلما دخلوا إلى الخباء لم يجدوا مع بثينة إلا أم الحسين ، فخجل زوجها وسب عبده . فقالت ليلى لأخيها وأبيها قبحكما الله أفى كل يوم تفضحان فتاتكما وتسمعان ما يقال فيها . أما جميل فانه أقام عند بثينة حتى جن الليل ، ثم ودعها وانصرف وخافت بثينة مما جرى فتحامت منه مدة فزادت به لواعج الهوى وأنشد يقول

لها فى سواد القلب بالحب منعة هى الموت أو كادت على الموت تشرفُ
وما ذكرتك النفس يا بثن مرة من الدهر إلا كادت النفس تتلف
والا اعترتنى زفرة واستكانة وجاد لها مستعجل الدمع يذرف
وما استطرفت نفسى حديثاً لخلة أسر به إلا حديثك أطرف

واست بناس أهلها حين أقبــلوا وجاءوا علينا بالسيوف وطوفوا
وقالوا جميل بات فى الحى عندها وقد جردوا أسيافهم ثم وقفوا

هرب جميل عن أهله

ولما اشتهر جميل بحب بثينة ، اعترضه عبيد الله بن قطنة أحد بنى الأحب وهو من أهلها الأقربين فهجاه . فأجابه جميل وتطاولا فكـف عنه ابن قطنة ثم اعترضه عمير بن رحل من بنى الأحب ، فقاومه أيضاً مثل الأول فشكا أمره إلى عامر بن ربعى الحاكم على بنى عذرة ، وقال يهجونا ويغشى بيوتنا ويسب بنسائنا فاباحهم دمه وطُلب فهرب . ولما علمت بثينة أن جميلا هجا أهلها غضبت كثيراً وأبدت له كدرها . فأنشد جميل يقول :

وما صائب من نائل قذفت به يد وممر العقـدتين وثيـقُ
باوشك قتلا منك يوم رميتنى نوافذ لم تظهر لهن خروق
تفرق أهــلان بثينُ فمنهم فريق أقاموا واستمر فريق

وبعد ذلك بمدة تصالحا وأخذ منها موعد اللقاء . فعلم به قومها وقد شاهدوه عندها فتوعدوه ، وكرهوا قتله خوفاً من أن ينشب بينهم وبين قومه حرب بدمه . وكان أقوامه أشد بأساً من قوم بثينة ، فأعادوا شكواه إلى السلطان . فطلبه طلباً شديداً . فهرب إلى اليمن وبقى فيها مدة . فتذكر يوما حبيبته بثينة فأنشد يقول :

ألمّ خيال من بثينة طارق على النأى مشتاق إلىّ وشائقُ
كأن فتيت المسك خالط نشرها تغـلّ به أردافها والمرافق
تقوم إذا قامت به عن فراشها ويندو به من حضنها من تعانق

ولم يزل فى اليمن إلى أن عزل ذلك الوالى ، وانتقل أهل بثينة إلى ناحية الشام ، فرجع اليهم فشكا أكابر الحى إلى أبيه وكان ذا مال وفضل وقدر فى أهله ، فناشدوه الله وسألوه كف ابنه عن فتاتهم وعن تشبيه بها وما يفضحهم به بين الناس . فوعدهم كفه ومنعه ما استطاع ثم انصرفوا فدعا به وقال له يا بنى حتى متى أنت راتع فى

ضلالك . ألا تأنف من أن تتعلق فى ذات بعل يخلو بها زوجها وأنت عنها بمعزل . تغرك بأقوالها وخداعها ، وتريك الصفاء والمودّة وهى مضمرة لبعلها ما تضمره الحرة لمن ملكها ، فيكون قولها لك تعليلا وغروراً ، فاذا انصرفت عنها عادت إلى بعلها على جرى عادتها . ان هذا لذل وخيم . ولا أعرف أخيب سهماً ولا أضيع عمراً منك فانشدك الله ألا كففت وتأملت فى أمرك . فانك تعلم أن ما قلته حق ، ولو كان اليها سبيل لبذلت ما أملكه فيها . ولكن هذا أمر قد فات واستبد به من قدّر له ، وفى النساء عوض . فقال له جميل : الرأى ما رأيت والقول كما قلت ، ولكن هل رأيت قبلى أحداً قدر أن يدفع هواه عن قلبه ، أو ملك أن يسلى نفسه ، أو استطاع أن يدفع ما قضى عليه . والله لو قدرت أن أمحو ذكرها من قلبي ، أو أزيل شخصها عن عيني لفعلت . ولا سبيل إلى ذلك وإنما هو بلاء بليت به لحين قد أتيح لى ولكن أنا أمتنع من طروق هذا الحى والإلمام به ولو مت كمداً وهـــذا جهدى ومبلغ ما أقدر عليه . وقام وهو يبكى ، فبكى أبوه ومن حضر جزعاً لما رأوا منه من حب بثينة . ثم أنشد :

ألا من لقلب لا يمل فيذهل … أفق فالتعزى عن بثينة أجملُ
سلا كل ذى ود علمت مكانه … وأنت بها حتى الممات موكل
فما هكذا أحببت من كان قبلها … ولا هكذا فيما مضى كنت تفعل
فيا قلب دع ذكرى بثينة انها … وإن كنت تهواها تضن وتبخل
وقد أيأست من نيلها وتجهمت … ولليأس إن لم يقدر النيل أمثل
وإلا فسلها نائلا قبل بينها … وابخل بها مسئولة حين تسأل
وكيف ترجى وصلها بعد بُعدها … وقد جد حبل الوصل ممن تؤمل
وان التى أحببت قد حيل دونها … فكن حازما والحازم المتحول
فى اليأس ما يسلى وفى الناس خلة … وفى الأرض عمن لا يواتيك معزل
بدا كلف منى بها فتأملت … وما لا يرى من غائب الوجد أفضل
هبينى بريئاً نلته بظلامة … عفاها لكم أو مذنباً يتنصل

وداع جميل لبثينة قبل سفره

لما ضاقت بجميل الحيل وأراد الخروج إلى الشام ، هجم ليلا على بثينة وقد وجد غفلة فى الحى فقالت له أهلكتنى والله وأهلكت نفسك ، ويحك أما تخاف . فقال لها : هذا وجهى إلى الشام وإنما جئتك مودعاً فحادثها طويلا ثم ودعها وقال يا بثينة ما أرانا نلتقى بعد هذا ، وبكى بكاء طويلا وبكت . ثم قال وهو يبكى :

ألا لا أبالى جفوة الناس ان بدا لنا منك رأى يابثين جميلُ
وانى وتكرارى الزيارة نحوكم بثين بذى هجر بثين يطول
وان صباباتى بكم لكثيرة بثين ونسيانيكم لقليل

وخرج إلى الشام وطال غيابه فيها ثم قدم من الشام ، وبلغ بثينة خبره فراسلته مع بعض نساء الحى تشكو شوقها اليه ، ووجْدَها به وطلبها للحيلة فى لقائه ، ووعدته لموضع يلتقيان فيه فسار اليها وحدثها وبث اليها أشواقه وأخبرها خبره بعدها وقد كان أهلها رصدوها ، فلما فقدوها تبعها أبوها وأخوها حتى هجما عليهما فوثب جميل وانتصل سيفه وشد عليهما فاتقياهُ بالهرب وناشدته بثينة الله أن ينصرف وقالت له إن أقمت فضحتنى ولعل الحى أن يلحقوا بك فأبى وقال أنا مقيم وامضى أنت وليصنعوا بى ما أحبوا فلم تزل تنشده حتى انصرف ، وقد هجرته وانقطع التلاقى بينهما فلقى ابن عمه روقاً ومسعدة فشكا اليهما ما به وأنشد :

زورا بثينة فالحبيب مزورُ إن الزيارة للمحب يسيرُ
ان الترحل أن تلبس أمرنا وأعتاقنا قدر أحم بكور
انى عشية رحت وهى حزينة تشكو إلىّ صبابة لصبور
وتقول بت عندى فديتك ليلة أشكو اليك فإن ذاك يسير
غراء مبسام كأن حديثها در تحدر نظمه المنثور
لا حسنها حسن ولا كدلالها دلّ ولا كوقارها توقير
إن اللسان بذكرها لموكل والقلب صاد والخواطر صور
ولئن جزيت الود منى مثله انى بذلك يا بثين جدير

فقال له روق : انك لعاجز ضعيف فى استكانتك لهذه المرأة وذلك الاستبداد بها مع كثرة النساء ، ووجود من هو أجمل منها وانك منها بين فجور أرفعك عنه وذل لا أحبه لك ، وكمد يؤديك إلى التلف ، ومخاطرة بنفسك لقومها ان تعذرت لهم بعد اعذارهم اليك ، وان صرفت نفسك عنها وغلبت هواك فيها وتجرعت مرارة الحزم ، وصبرت نفسك عليها طائعة أو كارهة ، ألفت ذلك وسلوت . فبكى جميل وقال يا أخى لو ملكت اختيارى لكان ما قلت صواباً ، ولكننى لا أملك لى اختياراً وما أنا إلا أسير لا يملك لنفسه نفعاً . وقد جئتك لأمر أسألك أن لا تكدر ما رجوته عندك فيه بلوم ، وأن تحمل على نفسك مساعدتى قال فإن كنت لا بد مهلكا نفسك فاعمل على زيارتها ليلا فإنها تخرج مع بنات عم لها إلى ملعب لهن فأجىء معك حينئذ سراً ولى أخ من رهط بثينة من بنى الأحب تأوى عنده نهاراً ، فأسأله مساعدتك على هذا فتقيم عنده نهاراً وتجتمع معها ليلا إلى أن تقضى أربك . فشكره ومضى روق إلى الرجل الذى من رهط بثينة فأخبره الخبر واستعهده كتمانه وسأله مساعدته فيه فقال له : لقد جئتنى باحدى العظائم . ويمكن أن فى هذا معاداتى الحى جميعاً إن فطن به فقال اتحرز فى أمره من أن يظهر فواعده فى ذلك ومضى إلى جميل فأخبره بالقصد . فأتيا الرجل ليلا فأقاما عنده ، وأرسل إلى بثينة بوليدة له بخاتم جميل فدفعته اليها فلما رأته عرفت الأمر فتبعتها وجاءته فتحدثا ليلتهما وأقام بموضعه ثلاثة أيام . ثم ودعها وقال لها : عن غير قلى والله ولا ملل يا بثينة كان وداعى لك ، ولكننى قد تذممت من هذا الرجل الكريم وتعريضه نفسه لقوله وقد أقمت عنده ثلاثة أيام . ثم انصرف وقد تذكر عذل روق له فأنشد

لقد لامنى فيها أب ذو قرابة ... حبيب اليه فى ملامته رشدى
وقال أفق حتى متى أنت هائم ... ببثنة فيها قد تعيد وقد تبدى
فقلت له فيها قضى الله ما ترى ... علىّ وهل فيما قضى الله من بد
فإن يك رشداً حبها أو غواية ... فقد جئته ما كان منىَ عن عمد
لقد لج ميثاق من الله بيننا ... وليس لمن لم يوف لله من عهد
فلا وأبيها الخير ما خنت عهدها ... ولا لىَ علم بالذى فعلت بعدى

وما زادها الواشون إلا كرامة علىّ وما زالت مودتها عندى
أفى الناس أمثالى أحبّ فحالهم كحالى أم أحببت من بينهم وحدى
وهل هكذا يلقى المحبون مثل ما لقيت بها أم لم يجد أحد وجدى

عزة بثينة وجميل

وقع بين بثينة وجميل هجر فى غيرة ، كان غار عليها من فتى كان يتحدث اليها من بنى عمها فكان جميل يتحدث إلى غيرها فيشق ذلك على بثينة وعلى جميل وجعل كل واحد منهما يكره أن يبدى لصاحبه شأنه ، فدخل جميل يوما وقد غلب عليه الأمر إلى البيت الذى كان يجتمع فيه مع بثينة فلما رأته جاءت إلى البيت ولم تبرز له فجزع لذلك وجعل كل واحد منهما يطالع صاحبه ، وقد بلغ الأمر من جميل كل مبلغ فأنشأ يقول

لقد خفت أن يغتالنى الموت عنوة وفى النفس حاجات اليك كما هيا
وإنى لتثنينى الحفيظة كلما لقيتك يوماً أن أبثك ما بيا
ألم تعلمى يا عذبة الريق اننى أظل إذا لم أسق ريقك صاديا

فرقت له بثينه وقالت لجارية لها كانت معها : ما أحسن الصدق بأهله .
ثم اصطلحا . فقالت له أنشدنى قولك

تظل وراء الستر ترنو بلحظها إذا مر من أترابها من يروقها

فأنشدها إياه فبكت وقالت : كلا يا جميل ومن تراه يروقنى غيرك .

عفاف جميل وبثينة

وشت جارية بجميل وبثينة إلى أبيها . وانه الليلة عندها . فأتى وأخوها مشتملين معتمدين سيفهما لقتله ، فسمعاه يقول لها بعد شكوى شغفه بها : هل لك فى طفء ما بى بما يفعل المتحابان . فقالت قد كنت عندى بعيداً من هذا ، ولو عدت اليه لن ترَ وجهى أبداً . فضحك وقال : والله ما قلته إلا اختباراً ، ولو أجبتِ اليه لضربتك بسيفى هذا إن استطعت ، وإلا هجرتك أما سمعت قولى :

وإنى لأرضى من بثينة بالذى ... لو ابصره الواشى لقرت بلابله
بلى وبأن لا أستطيع وبالمنى ... وبالأمل المرجو قد خاب آمله
وبالنظرة العجلى وبالحول ينقضى ... أواخره لا تلتقى وأوائله

فلما سمعا ما دار من الكلام بينهما قالا فلندعهما والله سوية ، لأن من كانت هذه حالته لا يجوز منع الزيارة عنه ، أو الاجتماع بها وانصرفا

موت جميل ونعيه إلى بثينة

دعا جميل يوما وهو فى مصر رجلا فقال له : هل لك فى أخذ كل ما أخلفه على أن تفعل شيئاً أعهده اليك . قال سمعاً وطاعة قال إذا أنا مت فخذ حلتى هذه وابقها جانباً وخذ ما بقى لك وارحل إلى رهط بنى الأحب من عذرة وهم رهط بثينة ، فاذا صرت اليهم فاركب ناقتى والبس حلتى واشققها ، ثم اعتلى قمة عالية وانشد هذه الأبيات دون خشية لائم ، وأنشد

صدع النعىّ وما كنى بجميل ... وثوى بمصر ثواء غير قفول
ولقد أجر الذيل فى وادى القرى ... نشوان بين مزارع ونخيـــلَ
قومى بثينة فاندبى بعـــويل ... وابكى خليلك دون كل خليل

وبعد ذلك قضى نحبه فواراه التراب ، وأتى رهط بثينة وفعل ما أمره به جميل . فما أتم الأبيات حتى برزت اليه امرأة يتبعها نسوة قد فاقت عليهن طولا ، وبرزت أمامهن كالبدر فى دجنة ، وهى تختال فى بردها فقالت : يا هذا والله لئن كنت صادقا لقد قتلتنى ، ولئن كنت كاذباً لقد فضحتنى . قال والله ما أنا إلا صادق وأخرج حلتهُ فلما رأتها صاحت بأعلى صوتها وصكت وجهها ، واجتمع نساء الحى يبكين معها ويندبنه حتى صعقت ، فمكثت مغشياً عليها ساعة ثم قامت وهى تقول :

وان سلوّى عن جميل لساعة ... من الدهر ما حانت ولا حان حينها
سواء علينا يا جميل بن معمر ... إذا متّ بأساءُ الحياة ولينها

وما زالت تكرر هذين البيتين حتى ماتت بعد ثلاثه أيام من سماعها بموت جميل .

ماحدثته بثينة عن جميل

حدّثت بثينة — وكانت صدوقة اللسان جميلة الوجه حسنة البيان عفيفة قالت والله ما أرادني جميل رحمة الله عليه بريبة قط ، ولا حدثت أنا نفسي بذلك منه . وان الحي انتجعوا موضعاً ، واني لفي هودج لي أسير اذا أنا بهاتف ينشد أبياتاً . فلم أتمالك أن رميت بنفسي وأهل الحي ينظرون فبقيت أطلب المنشد فلم أقف عليه فناديت : أيها الهاتف بشعر جميل ما وراؤك منه . واني أحسبه قد قضى نحبه ومضى لسبيله . فلم يجبني مجيب . فناديت ثلاثاً وفي كل ذلك لا يرد عليّ أحد شيئاً فقال صويحباتي : أصابك يا بثينة طائف من الشيطان . فقلت : كلا لقد سمعت قائلا يقول : فقلن نحن معك ولم نسمع فرجعت فركبت مطيتي وأنا حيرى والهة العقل كاسفة البال . ثم سرنا فلما كان في الليل اذا ذلك الهاتف يهتف بذلك الشعر بعينه . فرميت بنفسي وسعيت إلى الصوت فلما قربت منه انقطع . فقلت أيها الهاتف ارحم حيرتي وسكن عبرتي بخبر هذه الأبيات فان لها شأناً فلم يرد عليّ شيئاً فرجعت إلى رحلي فركبت وسرت وأنا ذاهبة العقل وفي كل ذلك لايخبرني صويحباتي انهن سمعن شيئاً فلما كانت الليلة القابلة نزلنا وأخذ الحي مضاجعهم ونامت كل عين فاذا الهاتف يهتف بي ويقول يا بثينة اقبلي إليّ أنبئك عما تريدين فأقبلت نحو الصوت فاذا شيخ كان من رجال الحي فسألته عن اسمه وبيته فقال دعي هـــذا وخذي فيما هو أهم عليك فقلت له : وان هذا لما يهمني . قالَ : اقنعي بما قلت لك . فقلت له أنت منشد الأبيات قال نعم قلت فما خبر جميل قال فارقته وقد قضى نحبه ، وصار إلى حفرته رحمة الله تعالى عليه فصرخت صرخة آذيت منها الحي ، وسقطت لوجهي فأغمى َعلي فكأن صوتي لم يسمعه أحد وبقيت سائر ليلتي ثم أفقت عند طلوع الفجر وأهلي يطلبونني فلا يقعون على موضعي . ورفعت صوتي بالعويل والبكاء ورجعت إلى مكاني فقال لي أهلي : ما خبرك وما شأنك . فقصصت عليهم القصة فقالوا رحم الله جميلا واجتمع نساء الحي وأنشدتهن الأبيات فأسعدنني بالبكاء . فلم نزل كذلك مدة أيام ثلاث لم اكتحل بعدها بأثمد ، ولا فرقت رأسي بمخيط ولا مشط . ولا دهنته إلا من صداع خفت على بصري منه ، ولالبست خماراً مصبوغا ولا ازاراً . ولا أزال كذلك أبكيه الى الممات .

قيس بن ذريح العذرى ولبنى بنت الحباب

كان قيس بن ذريح العذرى ذاهباً لبعض حاجاته ، فمر ببنى كعب واحتدم الحرّ ، فاستقى الماء من خيمة منهم . فبرزت اليه فتاة مديدة القامة ، بهية الطلعة عذبة الكلام سهلة المنطق فناولته إناء ماء فلما شرب قالت : ألا تبرد الحر عندنا ، وقد تمكنت من فؤاده ، فقال نعم فمهدت له فدخل فجاء أبوها فوجده فرحب به غاية الترحاب ونحر له شاة فأقام عندهم ضياء اليوم ثم انصرف وهو أشغف الناس بها . فجعل يكتم ذلك إلى أن غلب عليه فنطق فيها بالأشعار وشاع ذلك عنه ومرّ بها ثانياً فنزل عندهم وشكا اليها حين تخاليا ما نزل به من حبها فوجد عندها أضعاف ذلك فانصرف . وقد علم كل واحد ما عند الآخر فمضى إلى أبيه فشكا اليه ذلك . فقال له : دع هذه وتزوج بإحدى بنات عمك ففم منه وجاء إلى أمه . فكان منها ما كان من أبيه فتركها ، وجاء إلى الحسين بن على بن أبى طالب وأخبره بالقصة فرثى له والتزم أن يكفيه هذا الشأن ، فمضى معه إلى أبى لبنى فسأله فى ذلك فأجاب ثم قال:إنه من اللائق أن يكون ذلك من أبيه ، شأن العرب فى هذه الأحوال . فشكره ومضى إلى أبى قيس حافيا على حر الرمل . فقام ذريح ومرغ وجهه على أقدامه ومشى مع الحسين إلى ابى لبنى فزوج قيسا بها ولما تزوج بها أقام معها على أحسن مراتب الحب والإقبال ، ولكن لم تلد له ولداً فساء ذلك أباه فعرض عليه أن يتخذ غير زوجته وأن ذلك احفظ لنفسه وأبقى لماله ونسله، فامتنع وقال لا أسوءها قط وقام يدافع عنها عدة سنين إلى أن أقسم أبوه أن لا يدخل البيت إلا ولبنى طالق منه . فكان إذا اشتد الحر يستظل بردائه ويصلى بحر الشمس حتى يجيء الفيء فيدخل إلى لبنى فيتعانقان ويتباكيان وهى تقول له لا تفعل فأهلك . ثم خشى قيس أباه فأذعن لما أشار به. فلما أزمعت الرحيل بعد العدة جاء وسأل الجارية عن أمرهم فقالت سل لبنى . فأتى اليها فمنعه أهلها ، وأخبروه أنها ترتحل الليلة أو غداً ، فسقط مغشيا عليه ، فلما أفاق أنشد

وإنى لمفن دمع عينىّ بالبكا حذار الذى قد كان أو هو كائن
وقالوا غداً أو بعد ذاك بليلة فراق حبيب لم يبن وهو بائن
وما كنت أخشى أن تكون منيتى بكفيك الا ان ما حان حائن

فلما حملت إلى المدينة يئس قيس واشتد شوقه وزاد غرامه ، وأفضى به الحال إلى مرض ألزمه الوساد واختلال العقل واشتغال البال . فلام الناس أباه على سوء فعله فجزع وندم وجعل يتلطف به . فلما آيس منه استشار قومه فى دائه . فاتفقت آراؤهم على أن يذهب فيتصفح أحياء العرب عله يرى من تسليه عن حب لبنى ففعل حتى نزل بحى من فزارة فرأى جارية قد حسرت عن وجهها اللثام وهى كالبدر حسناً. فسألها عن اسمها . فقالت لبنى ، فسقط مغشياً عليه . فارتاعت وقالت إن لم تكن قيساً فجنون . ونضحت على وجهه الماء فلما أفاق استنسبته . فاذا هو قيس لبنى وكان أمرها قد اشتهر فى العرب . وجاء أخوها فأخبرته فركب حتى استرده وأقسم عليه أن يقيم عنده شهراً

فأجاب دعوته . ثم بلغ قيساً أن لبنى عاتبة عليه وعلى ما صدر منه . فندم قيس وسار ، وقد اشتد به الغرام ، حتى وصل محل قومها . فقالت له النساء ما شأنك وقد رحلت مع زوجها . فلم يلتفت حتى أتى محل خبائها فتمرغ به وأنشد

إلى الله أشكو فقد لبنى كما شكا إلى الله فقد الوالدين يتيم
يتيم جفاه الاقربون فجسمه نحيل وعهد الوالدين قديم

ولما عادت رآها فبهت صامتا ثم عاد . فأرسلت اليه مع امرأة لها تستخبر عنه فأنشد :

إذا طلعت شمس النهار فسلمى فآية تسليمى عليك طلوعها
بعشر تحيات إذا الشمس أشرقت وعشر إذا اصفرت وحان رجوعها
ولو أبلغتها جارة قولى أسلمى بكت جزعا وارفض منها دموعها

ثم زاد وجده فرض وزاد فى جسمه الألم. فعاده الطبيب وعرف ما به من الوجد وما يلقاه من حب لبنى فقال له منذ كم وجدت بهذه المرأة ما وجدت فأنشد :

تعانق روحي روحها قبل خلقنا ... ومن بعد ما كنا صغيرين فى المهدِ
فزاد كما زدنا وأصبح نامياً ... وليس إذا متنا بمنفصم العقـــد
ولكنه باق على كل حادث ... وزائرنا فى ظلمة القبر واللحـــد

وما كاد يهجر الوساد حتى علم بموت لبنى فهاجت منه عوامل الأسى ، وقصد قبرها فبكى حتى أغمى عليه ، ثم عاد إلى بيته مريضاً فأنشد :

عيد قيس من حب لبنى ولبنى ... داء قيس والحب صعب شديدُ
فاذا عادنى العـــوائد يومـــاً ... قالت العين لا أرى ما أريد
ليت لبنى تعـــودنى ثم اقضى ... انها لا تعود فيمن يعـــود
ويح قيس لقـــد تضمن منها ... داء خبـــل فالقلب منه عميد

ثم قضى بعد ذلك بثلاثة أيام .

جعد بن مهجع العذرى واسماء

كان لجعد بن مهجع العذرى أخوالا حول ماله اليهم خشية التلف، فأقام عندهم ثم خرج يوماً على فرس وقد صحب شراباً فاشتد الحر وظهرت له دوحة فقصدها ونزل تحتها فما لبث أن لاح له شخص عليه درع أصفر وعمامة سوداء يطرد أتاناً شارداً حتى قتله . ثم قصد الدوحة ونزل بها فحادثه فوجد فى الفاظه عذوبة لا تقدر وخلب عقله . فدعاه إلى الشراب فشرب وقام ليصلح من شأن فرسه فتزحزح الدرع عن ثدى كحق العاج . فقال امرأة أنت فقالت نعم ولكن شديدة العفاف حسنة الأخلاق والمفاكهة . فعلقها من تلك الساعة وسألها الزيارة فذكرت أن لها اخوة شرسة وأباً كذلك ثم مضت . فلما طالت مدة الفراق زاد حزنه وسقامه ولازم الوساد سنة كاملة . ثم شكا إلى أحد أصحابه فأشار عليه أن يخطبها من أبيها ومضى معه حتى نزلا بالشيخ . فأحسن ملقاهما ورحب بهما . فقال له قد أتيتك خاطباً . قال فوق الكفاءة وزوجه بها . فلما كان الغد صادفه صديقه وسأله عن حاله معها . فقال ابدت لى كثيراً مما اخفته عنى قديماً وسألتها عن ذلك فأنشدت :

كتمت الهوى انى رأيتك جازعاً فقلت فتى بعد الصديق يريدُ
فان تطرحنى أو تقول فتية يضر بها برح الهوى فتعود
فورّيت عما بى وفى الكبد والحشا من الوجد برح فاعلمن شديد

فبارك لها وانصرف .

أبو مالك بن النضر العذرى وابنة عمه

قال شبابة بن الوليد إن فتى من بنى عذرة يقال له أبو مالك بن النضر كان عاشقاً لابنة عم له عشقاً شديداً . فلم يزل على ذلك مدة . ثم أنه فقد بضع عشر سنين ولم يعلم خبره . فضلت ابل لى فخرجت فى طلبها فبينا أنا أسير فى الرمال إذا بهاتف يهتف بصوت ضعيف وهو يقول :

يا ابن الوليد ألا تحمون جاركم وتحفظون له حق القرابات
عهدى إذا جار قوم نابه حدث وقوه من كل اضرار الملمات
هذا أبو مالك المسى ببلقعة مع الضباع وآساد بغابات
طريح شوق بنار الحب محترق تعتاده زفرات إثر لوعات
أما النهار فيضنيه تذكرهُ والليل مرتقب للصبح هل ياتى
يهذى بجارية من عذرة اختلست فؤاده فهو منها فى بليات

فقلت دلنى عليه رحمك الله، فقال نعم اقصد الصوت، فلما قصدت غير بعيد سمعت أنينا من خباء فاصغيت اليه فاذا قائل يقول :

يا رسيس الهوى أذبت فؤادى وملأت الحشا عذاباً أليما

فدنوت منه فقلت : أبو مالك، فقال نعم. قلت ما بلغ بك ما أرى.قال حب سعاد ابنة أبى الهيذم العذرى ، فشكوت يوماً إلى ابن عم لنا من الحى ما أجد من حبها فاحتملنى إلى هذا الوادى منذ بضع عشرسنين ، ويأتينى كل يوم بخبرها ويقوتنى حفظه الله من عنده.فقلت لهانى أصير إلى أهلها فأخبرهم بما رأيت.قال أنت وذاك فانصرفت

إلى أهل الجارية فخبرتهم بحال الفتى وما رأيت منهُ وحدثتهم حديثهُ ، فرقوا لهُ ، وعزموا على تزويجه بحضرتى فعدت اليه لأفرج عنهُ ،فلما أخبرته الخبر حدد النظر الىّ ثم تأوه تأوّهاً شديداً بلغ من قلبي وأنشأ يقول

الآن إذ حشرجت نفسى وخامرها   فراق دنيا وناداها مناديها

ثم زفر زفرة فمات فدفنته فى موضعه ، ثم انصرفت فأعلمتهم الخبر، فأقامت الجارية ثلاثة أيام دون أكل ولا شرب ثم ماتت على الأثر

ذرعة بن خالد العذرى

كان ذرعة بن خالد العذرى غلاماً حسن الوجه عذب المنطق سخي الكف حسن الشمائل ، فخرج يوماً للصيد فلما ورد المشرعة وجد النساء يغترفن الماء ودونهن جارية قد انفردت تمشط شعرها على جانب الغدير، وقد اسبلتهُ على وجهها المنير من خلاله كما ينير البدر فى غاسق الدجى . فلما أبصرها سقط مغشياً عليه فقامت فرشت عليهِ الماء فلما أفاق وأبصرها قال وهل مقتول يداويهِ قاتلهُ . قالت : كفيت ما تشكوَ وحادثته فثابت نفسه اليه وقد داخلها ما داخله من الحب ثم عاد وهو يقول : خرجنا لنصيد فاصطدنا ثم أنشد :

خرجت أصيد الوحش صادفت قانصاً   من الريم صادتنى سريعاً حبائله
فلما رمانى بالنبال مسارعاً   رقانى وهل ميت يداويه قاتله
ألا فى سبيل الحب صب قد انقضى   سريعاً ولم يبلغ مراداً يحاوله

ثم أنه لزم الوساد أياماً فسألت أمه عن ذلك فأطلعها الخبر ، فاذا هى ظريفة بنت صفوان بن وائلة فمضت اليها وأعلمتها القصة وتضرعت اليها أن تزور بيتهم علها تشفى ما بابنها فقالت إن الوشاة كثيرين ولكن خذى الشعر اليه فان أمسكه فانه يشفى . فلما ذهبت اليه جعل يتنشقه فعادت اليه نفسهُ شيئاً فشيئاً ، فصار يأتى قريباً من بيتها فيتسارقا النظر إلى أن فطن أهلها فآلوا على قتله ، فسار إلى اليمن وكان كلما اشتد شوقهُ قبل الشعر وجعله على وجهه فيستريح لذلك ، فنى ذات يوم بعث ولداً نحو بيتها فسمعها تنشد وتقول

رعى الله من هام الفؤاد بحبه ومن كدت من شوقى اليه أطيرُ
لئن كثرت بالقلب أتراح لوعةَ فان الوشاة الحاضرينَ كثير
فان لم أزر بالجسم رهبة عاذل فللقلب آت نحوكم فيزور

فعاد الصبي وأنشد له الأبيات فاغمى عليه ساعة ثم أفاق وأنشد :

أظن هوى الخود العزيزة قاتلى فياليت شعرى ما بنو العم صنعُ
أراهم وللرحمن در صنيعهم تراكى دمى هدراً وخاب المضيع

ثم أتاه الخبر بزفاف ظريفة إلى رجل يقال له ثعلب، فلما بلغه ذلك اضطرب ساعة ثم أغمى عليه فحركوه فاذا به ميت .

مالك بن عقيل العذرى ومعشوقته سعدى

كان مالك بن عقيل العذرى يحب سعدى حباً شديداً وكانت ذات فصاحه وجمال وأدب ولطف وكمال . وكان فى الحى رجل يحبها وهى لا تحبه فغار منهما فوشى به إلى أهلها . فحجبوها عنه فتراسلا بالمحبة . وبلغه فأرسل زوجته عن لسانها إلى مالك بشتم وقطيعة ولم يعرف أنها زوجة ذلك الرجل ، ولم تدر الزوجة تفصيل الأمر . وكان عند مالك أنفة فخرج إلى مكة ناقضاً للعهد . فلما بلغ زوجة ذلك الرجل وجه الحيلة وما أخفاه زوجها أخبرت سعدى بما تم ، فخرجت على وجهها إلى مكة حتى اجتمعت به وكان مالك مع كعب بن مسعدة الغفارى يمشيان فى القمر، فسمعها كعب تقول إلى نسوة بجانبها أى والله هو ، ثم قربنَ من كعب فقالت أحداهن قل لصاحبك :

ليست لياليك فى حج بعائدة كما عهدت ولا أيام ذى سلم

فقال كعب لمالك : قد سمعت فاجب قال قد انقطعت فاجب أنت . فقال ولم يحضره غيره

فقلت لها يا عزّ كل مصيبة إذا وطنت يوماً لها النفس ذلت

وانصرفا فما استقر بهما المقام إلا وجارية تقول :أجب المرأة التى كلمتك ، فلما جاء كعب إليها قالت أنت المجيب قال نعم قالت فما أقصر جوابك قال : لم يحضرنى غيره

فقالت : لم يخلق الله أحب إلىّ من الذى معك فقال : علىّ أن أحضره اليك فقالت: هيهات فضمنه الليلة القابلة فرآه فى منزله فاخبره بالقصة كالمكاشف وقال : لقد ضمنت لها حضورك الليلة القابلة ، فلما كان الوقت مضيا فاذا بالمجلس قد طيب وفرش، فجلس مالك وجلست سعدى أمامه فتعاتبا فأنشدته أبيات عبد الله بن الدمينة

وأنت الذى أخلفتنى ما وعدتنى وأشمت بى من كان فيك يلومُ
وأبرزتنى للناس ثم تركتنى لها عرضاً أرمى وأنت سليم
فلو كان قولا يكلم الجسم قد بدا بجسمى من قول الوشاة كلوم

فأجابها

غدرت ولم أغدر وخنت ولم أخن وفى بعض هذا للمحب عزاء
جزيتك ضعف الودّ ثم حرمتنى لحبك فى قلبى إلىّ أذاء

فالتفتت إلى كعب وقالت ألا تسمع فغمزه فكف ثم أنشدت :

تجاهلت وصلى حين لاحت عمايتى فهلا صرمت الحبل إذ أنا أبصرُ
ولى من قوى الحبل الذى قد قطعته نصيب ولا رأى وعقل موقر
ولكننى آذنت بالصرم بغتة ولست على مثل الذى جئت أقدر

فأجابها :

لقد كنت أنهى النفس عنك لعلها إذا وعدت بالنأى عنك تطيبُ

ثم قبلها وأنشد

دمعى عليك من الجفون سكوب والقلب منك مروّع مكروب
لا شىء فى الدنيا ألذّ من الهوى إن لم يخن عهد الحبيب حبيب

فاجابته :

خلوتم بأنواع السرور وهاكم واقربتمونى للصبابة والحزن
وعذبتمونى بالصدود وأننى لراض بما ترضونه لى من الغبنَ

ثم افترقا فقالت لكعب : ما قلت لك إنك لا تفى بضماناتك ولكن إذا كان السحر

فاتتني . فجاء كعب فاذا بالصياح فسأل الجارية عن الخبر فقالت : حين خرجتما جعلت سعدى فى عنقها ما خنقت به نفسها فلحقناها فخلصناها فجلست ساعة تحادثنا وتفتكر فتقول : إنه لقاسى القلب ثم شهقت فماتت، فلما بلغ الشاب خبر موتها ندم ثم لزم قبرها فجاءته فى النوم فقالت : هلا كان هذا من قبل ، فمات من وقته

عروة بن حزام وعفراء العذرية

كان لعروة بن حزام ابنة عم من أعظم مشاهير عصرها حسناً وجمالا وأدباً وظرفاً وفصاحة تدعى عفراء تربيا معاً وله من العمر أربع سنين ،فكان يألفها وتألفه ويلعبان معا غالب الأحيان . فلما بلغا الحلم سأل عمه تزويجها فوعده ذلك وأخرجه إلى الشام. فجاء ابن أخ له يدعى أثالة بن سعيد بن مالك فرأى عفراء خارجة من خدرها حاسرة عن وجهها ومعصميها وعليها أزار خز ، فوقعت من قلبه بمكانة عظيمة فخطبها من عمه فزوجه بها وعادوا إلى الشام، فلما بلغ عروة ذلك بهت لا يحير جوابا وزادت به لواعج النوى فأنشد :

وإنى لتعرونى لذكراك رعـــدة ... لها بين جلدى والعظام دبيبُ
فما هو إلا أن أراها فجاءة ... فأبهت حتى ما أكاد أجيب
فقلت لعراف اليمامـــة داونى ... فانك ان أبرأتنى لطبيب
فما بى من حمى ولا مس جنـــة ... ولكن عمى الحميرى كذوب
عشيّة لا عفراء منك بعيـدة ... فتسلو ولا عفراء منك قريب
وبى من جوى الأحزان والبعد لوعة ... تكاد لها نفس الشفيق تذوب
وما عجب موت المحبين فى الهوى ... ولكن بقاء العاشقين عجيب

وما بلغ الحى حتى أخذه الهذيان والقلق، وأقام أياما لا يتناول طعاما حتى شفت عظامه ولم يخبر بسره أحداً . ولما أشفى ويئس من الشفاء وعلم الضجر من أهله قال لهم : احتملونى إلى البلقاء فانى أرجو الشفاء ، فلما حل بها وجعل يسارق عفراء النظر فى مرورها عاودته الصحة، فأقام كذلك إلى أن لقيه شخص من عذرة فسلم عليه، فلما أمسى دخل العذرى على زوج عفراء وقال له متى أتى هذا الوغد فقد فضحكم بكثرة تشبيبه

فقال : من تعني قال عروة : قال : أنت أحق بما وصفت والله ما علمت بقدومه، وكان زوج عفراء متصفا بالسيادة ومحاسن الاخـــلاق في قومه . فلما أصبح جعل يتصفح الأمكنة حتى لقي عروة فعاتبه وأقسم أن لا ينزل إلا عنده ،فوعد بذلك فذهب مطمئنا . أما عروة فانه عزم أن لا يبيت الليل ، وقد علموا به فخرج فعاوده المرض فتوفي بواد القرى دون منازل قومه . فلما بلغ عفراء موته قالت لزوجها : قد تعلم ما بينك وبيني وبين الرجل من النسابة وما عندي من الوجد وأن ذلك على الحسن الجميل، فهل تأذن لي أن أخرج إلى قبره فأندبه فقد بلغني أنه قضى قال ذلك اليك فخرجت حتى أتت قبره فتمرغت عليه وبكت طويلا ثم أنشدت :

ألا أيها الركب المجدون ويحكم بحق لقيتم عروة بن حـزام
فان كان حقا ما تقولون فاعلموا بأن قد نعيتم بدر كل ظلام
فلا لقي الفتيان بعـدك راحة ولا رجعوا عن غيبة بسلام
ولا وضعت أنثى تماما بمثله ولا فرحت من بعده بغلام

ولما فرغت من الشعر القت نفسها على القبر وأنشدت تقول بطرف قد عراه الأفول:

عداني أن أزورك يا خليلي معاشر كلهم واش حسـودُ
أشاعوا ما علمت من الدواهي وعابونا وما فيهم رشـيد
فاما إذ ثويت اليوم لحـداً فدور النـاس كلهم اللحود
فلا طابت لي الدنيـا مذاقا فبعـدك لا يطيب لي المديد

وما فرغت من شعرها حتى غابت عن الوجود ، فحرّكت فاذا هي ميتة ، فدفنت إلى جانب حبيبها .

مصرع عاشق من بني عذرة

قال أحدهم اجتزت في بعض أسفاري حي بني عـذرة فنزلت في بعض بيوته ، فرأيت جارية قد ألبست من الجمال حلة الكمال ، فأعجبني حسنها وكمالها فخرجت في بعض الأيام أدور في الحي وإذا أنا بشاب حسن الوجه عليه أثر الوجد أضعف من الهلال وانحل من الخلال، وهو يوقد ناراً تحت قدر ويردد أبياتا ودموعه تجري على خديه، فسمعته يقول :

فلا عنك لى صبر ولا فيك حيلة ولا منك لى بد ولا عنك مهربُ
ولى ألف باب قد عرفت طريقها ولكن بلا قلب إلى أين أذهب
فلو كان لى قلبان عشت بواحدٍ وافردت قلباً فى هواك يعذب

فسألت عن الشاب وشأنه فقيل لى إنه يهوى الجارية التى أنت نازل بيت أبيها، وهى محتجبة عنه منذ أعوام . فرجعت إلى البيت وذكرت لها ما رأيت فقالت : صلاح حاله فى أن لا يرانى . فحسبت أن امتناعها فتنة فيها فما زلت أقسم حتى أظهرت القبول مكرهة . فلما قبلت ذلك منى قلت أنجزى الآن وعدك فدتك روحى . فقالت : تقدمنى فانى سائرة فى أثرك فاسرعت عند الغلام وقلت : أبشر بحضور من تريد فانها مقبلة نحوك الآن . فبينا أنا أتكلم معه إذ خرجت من خبائها مقبلة تجر أذيالها ، وقد أثارت الريح غبار أقدامها حتى ستر الغبار شخصها فقلت للشاب ها هى قد أقبلت . فلما نظر إلى الغبار صعق وخرّ على نار أمامه فما أقعدته إلا وقد أخذت النار من صدره ووجهه ، فرجعت الجارية وهى تقول : من لا يطيق غبار نعالنا كيف يطيق مطالعة جمالنا .

كناس بنى عذرة

قال الاصمعى بينا أنا سائر فى أحياء بنى عذرة إذ سمعت صوتاً يقول :

جنبونى ديار هند وسعدى ليس مثلى يحل دار الهوان

فالتفت يمنة وشمالا فاذا الصوت خارج من زقاق فاقبلت حتى وقفت عليه فاذا بكناس يكنس الأرض . فقلت : سبحان الله أنت تكنس فى أحياء عذرة وتقول « ليس مثلى يحل دار الهوان » فانى ذلك وأى هوان أكثر مما أنت فيه فرفع رأسه إلىّ وقال

لا تلمنى فاننى نشوانُ أنا فى الملك ما سقتنى الدنان

القسم الثالث

فى نوادر بنى عامر

سبب عشق قيس لليلى العامرية

مرّ قيس يوماً على ناقةلابساً حُلة ملوكية ومعه زمرة من قومه ، فصادف ليلى مع نسوة من قومها يتحدثن فأعجبهنّ ، فاستنزلنه للمنادمة فنزل وعقر لهنّ ناقته وأقام معهن بياض اليوم . وكانت ليلى مع من حضر فحين وقع نظره عليها لم يصرف عنها طرفاً وشاغلته فلم يشتغل . فلما نحر الناقة جاءت لتمسك معه اللحم ، فجعل يحز بالمدية فى كفه وهو شاخص فيها حتى أعرق كفه ، فجذبتها من يده ولم يدر ثم قال لها أتأكلين الشواء . قالت نعم . فطرح من اللحم شيئاً على الغضى وأقبل يحادثها فقالت له : أنظر إلى اللحم هل استوى أم لا فمد يده إلى الجمر وجعل يقلب بها اللحم فاحترقت ولم يشعر . فلما علمت ما داخله صرفته عن ذلك ، ثم شدت يده بهدب قناعها . فذهب وقد تحكم عشقها من قلبه فاستدعته بعد ذلك وقد داخلها الحب فقالت له هل لك فى محادثة من لا يصرفه عنك صارف . قال ومن لى بذلك . فقالت له اجلس . فجلس وجعلا يتحادثان حتى مضى الوقت ولم يزالا على ذلك حتى حجبها أبوها عنه وزوجها من غيره

تجربة ليلى لقيس بن الملوح

صادف قيس بن الملوح يوماً ليلى بنت مهدى وقد صبا إليها قلبه ، فأخذ يحدثها وتحدثه حتى أمسى فانصرف فبات فى ليلة طالت عليه وجهد أن يغمض فلم يقدر فأنشأ يقول

نهارى نهار الناس حتى إذا بدا لىَ الليل هزتنى إليكِ المضاجعُ
أقضى نهارى بالحديث وبالمنى ويجمعنى والهمّ بالليل جامع

وداوم زيارتها وترك إتيان كل من كان يأتيه غيرها إلى أن تملك الحب قلبيهما ، فأرادت يوماً أن تجربه فأخذت تصد عنه وتعرض بوجهها عن نظره . فلما رأى ذلك منها اشتد عليه وجزع حتى عرف ذلك فيه . فخافت عليه وقالت :

كلانا مظهر للناس بغضاً وكل عند صاحبه مكينُ

فسرى عنه الحزن وعلم ما فى قلبها أما هى فقالت له إنما أردت امتحانك والذى لك عندى أكثر مما لى عندك ، وانى أعاهدك من الآن على حفظ العهد والقيام بالوفاء ، ولست مائلة بعد يومى هذا إلى أحد سواك حتى أذوق الموت فانصرف فى المساء وهو أسرّ الناس بما سمع منها . فأنشأ يقول :

أظن هواها تاركى بمضلة من الأرض لا مال لدى ولا أهلُ
ولا أحد أفضى اليه وصيتى ولا وارث إلا المطية والرحل
محا حبها حب الألى كنّ قبلها وحلت مكاناً لم يكن حل من قبل

مجنون ليلى وليلى والأمير

سمع أحد أمراء العرب بليلى ومجنونها فأمر باحضارهما اليه فلما وقفت ليلى بين يديه رآها فتاة هزيلة سمراء فلم يعبأ بها قط واحتقرها ، فتفرس المجنون بالأمير وقال : أيها الأمير لو نظرت إلى ليلى من طاقات أعين المجنون المبتلى ، لانجلى لك بمحبتها سر مشاهدتها فسر الأمير وأعجب من ذلك الجواب .

قيس بن الملوح وأمه وليلى

قال يونس النحوى لما خلط قيس بن الملوح وزال عقله وامتنع من الأكل والشرب ، صارت أمه إلى ليلى فقالت لها : إن ابنى جن من أجلك وذهب حبك بعقله ، وقد امتنع من الطعام والشراب فإن رأيت أن تصيرى معى إليه فلعله إذا رآكِ يسكن بعض ما يجد . فقالت لها أما نهاراً فما يمكننى ذلك ولا آمن على نفسى ، ولكن سأسير

اليه فى الليل . فلما كان الليل سارت اليه وهو مطرق يهذى فقالت : يا قيس إن أمك تزعم أنك جننت على رأسى وأصابك ما أصابك فرفع رأسه ونظر إليها وتنفس الصعداء وأنشأ يقول

قالت جننت على رأسى فقلت لها الحب أعظم مما بالمجانين
الحب ليس يفيق الدهر صاحبه وإنما يصرع المجنون فى الحين

افتضاح أمر قيس وليلى

ذهب قيس يوماً إلى بيت أبى ليلى ليقترض سمناً يقرى به ضيوف أبيه فقال أبو ليلى يا ليلى اخرجى ذلك السمن واقضى حاجة هذا الفتى فخرجت اليه وسلمت عليه وجعلت تسكب السمن فى انائه وهى تشكو ما لها عنده من الشوق فلما سمع كلامها طاب قلبه فالتهى معها بالحديث إلى أن فاض الاناء ، وصار السمن يقطر على الأرض . وما زالا يتحادثان حتى غاصت أرجلهما بالسمن فاستبطأها أبوها وناداها فلم تنتبه اليه ، فخرج ليكشف الخبر وقد أنكر أمرها فوجدها على تلك الحالة ، فغضب غضباً شديداً ومنعها الزيارة وحجبها عنه خوف الفضيحة . فصار يغتنم غفلة الرقيب فيجتمع بها ويطفىء ما بقلبه من الالتياع . فلما بلغه ذلك شكاه إلى الخليفة ابن مروان . فأمر عامله بقتله إذا هو زارها . فلما بلغ قيساً ذلك تنهد وأنشد :

لئن حجبت ليلى وآلى أميرها على يميناً جاهداً لا أزورها
على غير شىء غير أنى أحبها وان فؤادى عند ليلى سميرها

ولما زاد شوقه ذهب ليسترق النظر من ليلى فرأى الحى خالياً فسأل عنها فقيل له انها سارت وقومها إلى جبل توباد فقصد ذلك المكان وما زال يبحث عنها حتى لقيها ، فشكا لها وشكت له وأخذا يتناجيان ، ثم بكى قيس وأنشد :

أيا ليلى زند البين يقدح فى صدرى ونار الأسى ترمى فؤادى بالجمر
فلا تحسبى يا ليلى أنى نسيتكم فان مدى الأيام ذكرك فى فكرى
فوالله لا أنساك ما هبت الصبا وما هطلت عين على واضح النهر

فرقت له ليلى وضمته إلى صدرها . وبعد قليل ودعها وسار عائداً إلى أهله .

ذهاب قيس إلى الكعبة وزواج ليلى بغيره

لما هاجت من قيس علل الحب والغرام أشفق عليه جميع الأهل ورثوا لحاله، وعرضوا على أبيه أن يأخذه إلى الكعبة عله يبرأ من علته. فأجابهم إلى ذلك وسار ومعه ابنه قيس. فلما بلغوا الكعبة قال له أبوه تعلق بأستار الكعبة. ففعل. فقال: قل اللهم يامن احتجبت عن العيون أرحني من حب ليلى وأزل عني هذا الجنون. فقال: أيها الإله الحي انى تائب اليك عن جميع الخطايا إلا عن حب ليلى فانني لا أتوب ثم أنشد:

يقولون تب عن حب ليلى وذكرها ... وتلك لعمرى توبة لا أتوبها

يقر بعيني قربها ويزيدني ... بها عجباً من كان عندى يعيبها

فيا نفس صبراً لست والله فاعلمى ... بأول نفس غاب عنها حبيبها

فحزن عليه أبوه وجميع الأهل والأصدقاء. ثم أنه هام فى عرض الفلاة فلحق به أبوه وأراد القوم أن يأتوا به مكبلا فقال لهم مهلا مهلا فقلبي عليل لا يقدر على العذاب، فتركوه وبكى أبوه شفقة عليه وقال له: يا ولدى إلى متى وأنت فى هذا الشقاء العظيم، أما كفاك الجولان فى القفار حتى عدمت النشاط وصرت إلى الانحطاط. فدع عنك هذه الأوهام وعد إلى العقل والرشاد. وما زال أبوه يشاغله بالأحاديث اللطيفة والعبارات الظريفة إلى أن راق ولان ورجع معه إلى الأوطان. وكانت ليلى قد تزوجت برجل يدعى سعيد بن حنيف فلما بلغ قيس ذلك الخبر اضطرب وأنشد:

وقد خبرونى أن ليلى تزوجت ... ولا بد لى من أن ألاقى حليلها

فان كان مثلى لا ألما على الهوى ... وإن كان دونى بئس ما قد قضى لها

هيام قيس ومكاتبته لليلى

ثم زادت آلامه وهجر الأهل وهام فى البرارى والقفار وهو يترنم بهذه الأبيات:

أنيرى مكان البدر إن أفل البدر ... وقومى مقام الشمس ما استأخر الفجرُ

ففيك من الشمس المنيرة ضوءها ... وليس لها منك التبسم والثغر

بلى لك نور الشمس والبدر كله ... وما حملت عيناك شمس ولا بدر

لك النظرة اللألاء والبرق طالع وليس لها منك الترائب والنحر
ومن أين للشمس المنيرة بالضحى بمكحولة العينين فى طرفها فتر

فرآه عن بعد رجل يدعى نوفل بن مساحق فسأل عنه فقيل إنه قيس الملوح وانه ما وصل إلى ما وصل إلا من حبه ليلى فقال وأنى لى وصولا اليه . قالوا أذكر له ليلى فيدنو منك ويأتى آنساً فرحاً فتقدم اليه نوفل وسلم عليه وقال له بحياة ليلى التى هى عندك أعز الناس أن تنشدنى من نفائس أشعارك ما تشنف به مسمعى فأنشده قيس قصيدته التى مطلعها

تذكرت ليلى والسنين الخواليا وأيام لم يعدى على الناس عاديا

فلما سمع نوفل شعره اهتز طرباً وقال : لله درك على هذه الألفاظ الرشيقة والمعانى البديعة الرقيقة . ولكن خل عنك هذا الحزن واتكل على الله فهو قادر على نجاتك . فقال قيس كيف أطيق الصبر وقد اشتعل قلبي بنار الهوى أيما اشتعال فدعنى بالله أهيم فى وجدى ولا أهتدى إلى هداى. فتركه نوفل وسار وبقى قيس هائماً ينشد الأشعار .

وكانت ليلى منذ تزوجت لا تنشف لها دمعة ولا تبرد لها لوعة لشدة وجدها وخوفها على قيس حبيبها فكتبت اليه يوماً تشكو حالها وختمت الرقعة بهذه الأبيات

سلام عليكم لا سلام ملامة ولكن سلام للمحب عطورُ
لقد عيل صبرى بعدكم وتكاثرت همومى ولكن المحب صبور
فصبراً على ريب الزمان وجوره لعل صروف الدائرات تدور

فلما بلغ قيساً تلك الرقعة كتب اليها يقول : من قيس ابن الملوح الهائم الوامق إلى سيدة الملاح وكوكب الصباح ليلى العامرية. وَرَدَ إلىّ كتابك أيتها الحبيبة فقرأته طرباً بعابق شذاك ، وأنا لم أزل فى هذه القفار أهيم مع الوحوش والغزلان وحيداً ذليلا أقاسى الضر والأحزان ، حتى صرت نحيلا كالخيال من شوقى وكادت تقضى على تباريح الهوى والسلام .

فلما بلغ ليلى حال قيس وما يلقاه على النوى حزنت عليه وبكت من شدة الالتياع

لقاء زوج ليلى بقيس بن الملوح

لما زاد وجد ليلى بقيس بن الملوح وهاجت لذلك آلامها صارت تبدى لزوجها صداً واعراضاً، فعجب زوجها لذلك وسأل، فعلم كنه الأمر وأن قيسا يهواها وتهواه وهو هائم لأجلها فى واسع الفلاة ينشد فيها الأشعار ويأنس بالظباء الساريات فى القفار. فاشتاق إلى رؤية قيس ومنادمته ومال إلى معرفته فخرج يوما للصيد فلقيه وهو فى روضة خضراء ينظر فى بعض الغزلان. فتقدم زوج ليلى وسلم عليه وأنشد يقول :

ومن عجب جنونك فى فتاة مزوجة سواك ولن تراها
أيا مجنون كم تهوى بليلى كأن الله لم يخلق سواها

فعلم قيس أنه بعلها فخر مغشيا عليه ثم أفاق فأنشد

بعيشك هل ضممت اليك ليلى قبيل الصبح أم قبلت فاها
وهل دارت يداك بمنكبيها وهل مالت عليك ذوابتاها

فرق زوج ليلى لحالة قيس ، وحذره من أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان ثم عاد إلى الحى .

كثير عزة ومجنون ليلى

قال المفضل بن الحسن : دخل كثير عزة على عبد الملك بن مروان فجعل ينشد شعره فى عزة وعيناه تذرفان فقال له عبد الملك قاتلك الله يا كثير هل رأيت أحداً أعشق منك . قال نعم يا أمير المؤمنين خرجت مرة أسير فى البادية على ناقة لى فبينا أنا أسير إذ نظر إلى شخص فأكدته فإذا رجل قد نصب شركا للظباء وقعد بعيداً منه فسلمت عليه فرد السلام . فقلت ما أجلسك ها هنا قال نصبت شركا للظباء فأنا أرصدها فقلت ان قمت له لديك فصدت فهل تطعمنى قال أى والله فنزلت فعقلت ناقتى وجلست أحدثه . فإذا هو أحسن خلق الله حديثا وأرقه وأغزله. فما لبثنا أن وقعت ظبية فى الشرك . فوثب ووثبت معه فخلصها من الحبال ثم نظر فى وجهها مليا فأطلقها وأنشأ يقول

أيا شـــبه ليلى لن تراعى فإننى لك اليوم من بين الوحوش صديقُ
ويا شبه ليلى لن تزالى بروضـــة عليك ســـحاب دائم وبروق
فـــا أنا إذ شبهتها ثم لم تؤب سليما عليهـا فى الحيـــاة شفيق
فديتك من آسر دهاك لحبها فأنت لليـــلى ما حييت طليق

ثم أصلح شركها وغدونا إلى موضعنا ، فقلت والله لا أبرح حتى أعرف أمر هذا الرجل فأقمنا باقى يومنا فلم يقع شىء فلما أمسينا قام إلى غار قريب من الموضع الذى كنا فيه وقمت معه فبتنا به . فلما أصبح الصباح غدا فنصب شركه . فلم يلبث أن وقعت ظبية شبيهة بأختها بالأمس ، فوثب اليها ووثبت معه فاستخرجها من الشرك ، ونظر فى وجهها مليا ثم أطلقها فمرت . وأنشأ يقول :

إذهبى فى كلاءة الرحمن أنت منى فى ذمة وأمانِ
ترهبينى والجيد منك كليلى والحشـا والنعام والعينان
لا تخافى بأن تفاجى بسوء ما تغنى الحمام فى الأغصان

ثم عدنا إلى موضعنا فلم يقع يومنا شىء . فلما أمسينا صرنا إلى الغار فبتنا فيه فلما أصبحنا عدل إلى شركه، وغدوت معه فنصبه ، وقعدنا نتحدث وقد شغلنى يا أمير المؤمنين حسن حديثه عما أنا فيه من الجوع فبينا نتحدث إذ وقعت فى الشرك ظبية فوثب اليها ووثبت معه فاستخرجها من الشرك ثم نظر فى وجهها وأراد أن يطلقها فقبضت على يده وقلت : ماذا تريد أن تعمل أقمت ثلاثة أيام كلما صدت شيئاً أطلقته. فنظر فى وجهى وعيناه تذرفان وأنشأ يقول

اتلحى محباً هائم القلب إن رأى شبيهاً لمن يهواه فى الحبل موثقا
فلما دنا منـه تذكر شجـــوه وذكره من قد نأى فتشوقا

فرحمته يا أمير المؤمنين وبكيت لبكائه ونسبته فإذا هو قيس بن معاذ المجنون ، فذاك والله أعشق منى يا أمير المؤمنين

مصرع قيس بن الملوح

سمع قيس العامرى ليلا هاتفاً يقول

أمنعية بالموت ليلى ولم تمت كأنك عما قد أظلك غافلُ

فزاد منه لاعج الوجد وغاب عن الأبصار مدة من الزمان فبينما كان أبو ليلى وبعض الأقرباء يبحثون عن مكانه ، وجدوه صريعاً بين القبور وإلى رأسه ورقة كتب فيها

ألا أيها الشيخ الذى ما بنا يرضى شقيت ولا هنئت من عيشك الخفضا

شقيت كما أشقيتنى وتركتنى أهيم مع الهلاك لا أطعم الغمضا

كأن فؤادى فى مخاليب طائر إذا ذكرت ليلى يشد به قبضا

كأن وسيع الأرض حلقة خاتم علىّ فما تزداد طولا ولا عرضا

فجزع أبوها غاية الجزع وقال : والله لو أعلم أن أمره يفضى إلى هذه الحال لاحتملت العار وزوجته يابنتى ليلى

ثم رأوا مكتوباً على حجر ملقى إلى جانبه هذين البيتين

توسد أحجار اليمامة والقفر ومات جريح القلب مندمل الصدرِ

فياليت هذا الحب يعشق مرة فيعلم ما يلقى المحب من الهجر

راشد بن صفوان وهيفاء العامرية

كان راشد بن صفوان يغدو على بنى عامر لألفة بينه وبين رجل ، فلمح جارية منهم يقال لها هيفاء بنت عبد الله بن عامر ، وكانت من أجمل نساء العرب. فغادره من حبها ما كاد أن يأتى على نفسه ثم ان الجارية تزوجت بشخص من جهينة فلما حملها إلى حيه وطال على الغلام الشوق وانقطاع الأخبار ذهب عقله فكان يسيح عارياً ، فصادف صياداً قد اصطاد غزالا فوقف ينظر اليه ثم بكى وأنشد :

وذكرنى من لا أبوح بذكره محاجـــر ظبي فى حبالة قانصِ
فقلت ودمع العين يجرى بحرقة ولحظى إلى عينيه لحظة شاخص
ألا أيهذا القانص الظبي حـــله وإن كنت تأباه فعشر قلائص
خف الله لا تحبســـه ان شبيهه حبيبي فقد أرتدت فيه فرائصى

فقال له الصياد : دونك خله . فتقدم اليه وقبله وأطلقه واتبعه النظر حتى غاب . ثم قال للصياد ائتنى غداً فأتى فأعطاه عشراً من الإبل ، فأبى قبولها فأقسم عليه أن يأخذها فقبلها وانصرف .

العاشق المفـــارق

حدث بعض العرب قال : مررنا بماء وعليه صبية يتغاطسون وقريب منهم شاب عليه أثر الجمال إلا أنه نحيل من السقام فسلمت عليه فقال ممن الراكب . قلت : من الحى . فقال : كم أقمت به قلت قليلا فتنفس الصعداء وأنشد :

سقى بلداً أمست سليمى تحـــله من المزن ما يروى به ويشيمُ
وإن لم أكن من ساكنيه فإنه يحـل به شخص علىّ كريم

مالك العامرى ومحبوبته

قال أحدهم : انصرفت من الحج فمررت بماوية وكان لى فيها صديق من بنى عامر فصرت اليه مسلما فأنزلنى . فبينا أنا عنده ونحن قاعدان بفنائه إذا النساء مستبشرات وهن يقلنَ تكلم تكلم . فقلت ما هذا . فقالوا فتى منا كان يعشق ابنة عم له فزوّجت وحملت إلى ناحية الحجاز . فإنه لعلى فراشه منذ حول ما تكلم ولا أكل إلا أن يؤتى بما يأكله ويشربه . فقلت أحب أن أراه . فقام وقمت معه فمشينا غير بعيد ، وإذا بفتى مضطجع بفناء بيت من تلك البيوت لم يبقَ منه إلا خيال . فأكب الشيخ عليه يسأله وأمه واقفة . فقالت يا مالك هذا عمك أبو فلان يعودك . ففتح عينيه وأنشأ يقول :

ليبكني اليوم أهل الود والشفق   لم يبق من مهجتي إلا شفا رمقِ
اليوم آخــر عهدي بالحياة فقد   أطلقت من ربقة الأحزان والقلق

ثم تنفس الصعداء فإذا هو ميت فقام الشيخ وقمت فانصرفت إلى خبائه ، فإذا جارية جميلة تبكي وتتفجع . فقال الشيخ ما يبكيك . فأنشأت تقول

ألست أبكي لصب شف مهجته   طول السقام وأضنى جسمه الكمدُ
يا ليت من خلفَ القلب المهيم به   عندي فاشكو اليه بعض ما أجد
أنشر تربك أسرى لي النسيم به   أم أنت حيث يناط السحر والكبد

ثم انثنت على كبدها وشهقت فإذا هي ميتة

مصرع عاشق على قبر عشيقته

قال جبر بن حبيب : اقبلت من مكة أريد اليمامة فنزلت بحي بني عامر فأكرموا مثواى ، فإذا فتى حسن الهيئة قد جاءني فسلم عليّ وقال أين يريد الراكب قلت اليمامة . قال : ومن أين أقبلت. قلت من مكة. فجلس إليّ فحادثني أحسن الحديث ثم قال لي : أتأذن في صحبتك إلى اليمامة . فقلت أحب خير مصحوب . فقام فما لبث أن جاء بناقة بيضاء وعليها أداة حسنة فأناخها قريباً من مبيتي وتوسد ذراعها فلما هممت بالرحيل أيقظته . فكأنه لم يكن نائما فقام وأصلح رحله وركب وركبت . فقصر عليّ يومى بصحبته وسهلت عليّ وعوث السفر . فلما رأينا بياض قصور اليمامة أنشد قائلا :

وأعرضت اليمامة واشمخرت   كأسياف بأيدي مصلتينا

وهو في ذلك كله لا ينشدني إلا أبياتا معجبة في الهوى فلما قربنا من اليمامة مال عن الطريق إلى أبيات قريبة منا فقلت له لعلك تحاول حاجة في هذه الأبيات قال أجل . قلت انطلق راشداً . فقال : هل أنت موف حق الصحبة . قلت افعل قال مل معي فملت معهُ فلما رآه أهل الصرم ابتدروه وإذا فتيان لهم شارة

فأناخوا بنا، وعقلوا ناقتينا،وأظهروا السرور،وأكثروا البر، ورأيتهم أشد الناس له تعظيما ثم قال : قوموا إن شئتم . فقام وقمت لقيامه حتى إذا صرنا إلى قبر حديث البناء ألقى نفسه عليه وأنشأ يقول :

لئن منعونى فى حيــاتى زيارة أحامى بهـا نفسـا تملكها الحب
فلن يمنعونى أن أجاور لحـــدها فيجمع جسمينا التجاور والترب

ثم أن أنة الأسى ووقع ميتاً إلى الأرض فأقمت مع الفتيان حتى احتفرنا له ودفناه.فسألت عنه فقالوا ابن سيد هذا الحى، وهذه ابنة عمه وهىإحدى نساء قومه ، وكان بها مغرما فماتت منذ ثلاث سنين. فأقبل اليها وقد رأيت ما آل اليه أمره، فعدت والله وقد انفطرت مرارتى من الحزن عليه .



القسم الرابع
فى نوادر الشعراء

صريع الغوانى

دخل مسلم بن الوليد الملقب بصريع الغوانى يوماً على الفضل فأقام عنده وشرب معه . وكانت على رأس الفضل وصيفة تسقيه كأنها لؤلؤة . فلمح الفضل مسلماً ينظر اليها . فقال : قد أعجبتك والله يا أبا الوليد ، فقل فيها أبياتاً لأهبها لك . فأنشد

إن كنت تسقين غير الراح فاسقينى   كأساً ألذ بها من فيك تشفينى
عيناك راحى وريحانى حديثك لى   ولون خديك لون الورد يكفينى
إذا نهانىَ عن شرب الطلا حرج   فخمر عينيكَ يغنينى ويجزينى
لولا علامات شيب لو أتت وعظت   لقد صحوت وَلكن سوف تأتينى
أرضى الشباب فان أهلك فنى قدر   وإن بقيت فان الشيب يسلينى

فقال الفضل : خذها بورك لك فيها

صريع الغوانى والرجل

سأل رجل مسلماً : لمَ تدعى صريع الغوانى . فأنشأ يقول

إن ورد الخدود والأعين النجل م وما فى الخدود من أقحوانِ
واسوداد الصدغين فى واضح الخد م وما فى الصدور من رمانِ
تركتنى لدى الغوانى صريعاً   فلهذا أدعى صريع الغوانى

صريع الغوانى والكناس

وقف صريع الغوانى بباب محمد بن منصور فاستسق فأمر وصيفاً له فأخرج اليه

خمراً فى كأس مذهبة . فلما نظر اليها فى راحته قال

ذهب فى ذهب راح م بها غصن لجين
واتت قرة عينى من يدى قرة عين
قمراً يحمل شمساً مرحباً بالقمرين
لا جرى بينى ولا بينهـ ـما طائر بين
وبقينا ما بقينا أبداً متفقين
فى غبوق وصبوح لم نبع نقداً بدين

صريع الغوانى يرثى زوجة له

كانت لمسلم بن الوليد زوجة يحبها فماتت . فجزع عليها جزعاً شديداً وتنسك مدة ، وعزم على ملازمة ذلك . فأقسم عليه بعض اخوانه ذات يوم أن يزوره ففعل . فأكلوا وقدموا الشراب ، فامتنع منه مسلم وأبى وأنشأ يقول :

بكاء وكأس كيف يتفقان سبيلاهما فى القلب مختلفان
دعانى وافراط البكاء فاننى أرى اليوم فيه غير ما تريانى
غدت والثرى أولى بها من وليها إلى منزل قاص لعينك دانى
فلا حزن حتى تنزف العين ماءها وتعترف الأحشاء للخفقان
وكيف بدفع اليأس والوجد بعدها وسهماهما فى القلب يختلجان

الحسن بن هانىء والجارية

قال الحسن بن هانىء المعروف بأبى نواس : حججت مع الفضل بن الربيع حتى إذا كنا ببلاد فزارة وذلك إبان الربيع ، نزلنا منزلا بازاء ماء لبنى تميم ذا روض أريض ونبت غريض تخضع لبهجته أطايب الشذا . فقرت بنضرتها العيون وارتاحت إلى حسنها القلوب وانفرجت لبهائها الصدور . فلم تلبث أن أقبلت السماء فانشق غمامها وتدانى من الأرض ركامها ، وقد غادرت الغدران مترعة تتدفق والقيعان تتألق ، رياض مونقة ونوافح من ريحها عبقة . فسرحت طرفى راتعاً منها فى أحسن منظر ، ونشقت من رياها أطيب

من المسك الأذفر فلما انتهينا إلى أوائلها اذا نحن بخباء على بابه جارية مشرقة ترنو بطرف مريض الجفون وسنان النظر . فقلت لزميلى استنطقها قال وكيف السبيل إلى ذلك . قلت : اطلب منها شربة ماء فطلب . فقالت حباً وكرامة ومضت تمايل كغصن البان بقامة كقضيب الخيزران . فراعني ما رأيت منها . ثم أتت بالماء فشربت منه وصببت باقيه على يدى . ثم قلت وصاحبي أيضا عطشان . فأخذت الإناء فذهبت فقلت لصاحبي : من الذى يقول

إذا بارك الله فى ملبس فلا بارك الله فى البرقع
يريك عيون الدمى غرة ويكشف عن منظر أشنع

فسمعت كلامي فأتت وقد نزعت البرقع ولبست خماراً أسود وهى تقول

ألا حيّ ربعى معشر قد أراهما أقاما فما أن يعرفا مبتغاهما
هما استسقيا ماء على غير ظمأة ليستمتعا باللحظ ممن سقاهما

فشبهت كلامها بعقد در وهى فاتر بنغمة عذبة رقيقة رخيمة ، لو خوطب بها صم الصلاب لانبجست مع وجه يظلم من نور ضياء العقول ، وتتلف من روعته مهج النفوس وتخف فى محاسنه رزانة الحليم ، ويحار فى بهائه طرف البصير . فهمت بها أى هيام وخررت ساجداً فأطلت من غير تسبيح . فقالت : ارفع رأسك أيها الشاب ولا تذم بعدها برقعا ، فلربما انكشف عما يصرف الكرى ويحل القوى ويطيل الوجد والجوى . فبقيت والله معقود اللسان عن الجواب حيران لا أهتدى لطريق إلى أن آن وقت الرحيل ، فانصرفت من عندها وأنا أقول :

يا حسرتا مما يجن فؤادى أزف الرحيل بعبرتى وبعادى

أبو نواس والجارية جنان

كان أبو نواس يحب جنان حبا قاتلا عظيما . وكانت هى فتاة حسناء أديبة عاقلة ظريفة تعرف الأخبار وتروى الأشعار فرآها أبو النواس عند مولاها الوهاب فاستحلاها ووقع حبها فى قلبه إلى أن صار يردد ذكرها فى كل مكان . فقيل له يوما ان جنان عازمة على الحج . فقال إنى على أثرها أحج فلما علم أنها خارجة سبقها وما كان

نوى الحج ولا أحدث عزمه إلا خروجها . فصار يسترق منها النظرات ويبغى الفرص فلا يجد لها سبيلا . فلما عادت عاد معها وأنشد يقول هذه الأبيات

ألم ترَ أننى أفنيت عمرى   بمطلبها ومطلبها عسيرُ
فلما لم أجد سببا إليها   يقربنى وأعيتنى الأمـــور
حججت وقلت قد حجت جنان   فيجمعنى وإياها المسير

ثم كتب اليها يقول :

إلهنا ما أعـــدلك   مليك كل من ملك
لبيك قد لبيت لك   لبيك إن الحمد لك
والملك لا شريك لك   والليل لما أن حلك
والسابحات فى الفلك   على مجارى المنسلك
ما خاب عبد أملك   أنت له حيث سلك
لولاك يا رب هلك   كل نبى وملك
وكل من أهلّ لك   سبح أو لبى فلك
يا مخطئا ما أغفلك   عجّـل وبادر أجلك
واختم بخير عملك   لبيك إن الملك لك
والحمد والنعمة لك   والعز لا شريك لك

فلما بلغها الكتاب لم تجبه عليه . وحدث أنها جاءت يوما إلى عرس فى جواره ، فلما عزمت على الانصراف رآها أبو النواس فأنشد بديها

شهدت جلوة العروس جنان   فاستمالت بحسنها النظاره
حسبوها العروس حين رأوها   فاليها دون العروس الاشاره

وغضبت يوما جنان من كلام كلمها به . فأرسل يعتذر اليها فقالت للرسول قل له « لا برح الهجران ربعك ولا بلغت أملك ممن أحببتك » فرجع الرسول . فسأله عن جوابها فلم يخبره . فقال

فديتكِ فيمَ عتبك من كلام   نطقت به على وجه جميلِ

وقولك للرسول عليك غيرى فليس إلى التواصل من سبيل
فقد جاء الرسول له انكسار وحال ما عليه من قبول
ولو ردّت جنان مرد خير تبين ذاك فى وجه الرسول

فلم تزل جنان من أبى النواس فى معرض الصد والحنق إلى أن أنشد لها أبياتا حسان نفت عنها الكدر والشك وهى :

جنان إن جدت يا مناى بما آمل لم تقطر السماء دما
وإن تمادى ولا تماديت فى منعك أصبح فى قفرة رمما
علقت من لو أتى على أنفس م الماضين والغابرين ما ندما
لو نظرت عينه إلى حجر وشد فيه فتوره سقما

أبو نواس وامرأة من الثقفيين

مرت بأبى النواس امرأة من الثقفيين ، فسألها عن جنان . فأخبرته خبرها وقالت قد سمعتها تقول لصاحبة لها من غير أن تعلم بى ، ويحك قد آذانى هذا الفتى وضيق صدرى وسد فى وجهى السبل بحدة نظره وتهتكه ، فقد لهج قلبى بذكره حتى رحمته لما به ، ثم التفتت فأمسكت عن الكلام ففرح أبو النواس بذلك فلما قامت المرأة أنشأ يقول :

ياذا الذى عن جنان ظل يخبرنا بالله قل وأعد يا طيب الخبر
قال اشتكتك وقالت ما ابتليت به أراه من حيثما أقبلت فى أثرى
ويعمل الطرف نحوى إن مررت به حتى ليخجلنى من حدة النظر
وإن وقفت له كيما يكلمنى فى الموضع الخلو لم ينطق من الحصر
ما زال يفعل بى هذا ويدمنه حتى لقد صار من همى ومن وطرى

ما كتبته جنان لأبى نواس

أرسلت جنان لأبى النواس تقول « قد شهرتنى فاقطع زيارتك عنى أياماً لينقطع بعض القالة » . ففعل وكتب اليها

إنّا اهتجرنا للناس إذ فطنوا ... وبيننا حين نلتقى حسنُ
ندافع الأمر وهو مقتبل ... فشب حتى عليه قد مرنوا
فليس يقذى عيناً معاينة ... له وما أن تمجه أذن
ويح ثقيف ماذا يضرهم ... لو كان لى فى ديارهم سكن
أريب ما بيننا الحديث فان ... زدنا فزيدوا فما لذا ثمن

ولما طال الفراق وضاقت دون لقياها الحيل كتب اليها من بغداد

كفى حزناً أن لا أرى وجه حيلة ... أزور بها الأحباب فى حكمانِ
وأقسم لولا أن تنال معاشر ... جناناً بما لا أشتهى لجنانَ
لأصبحت فيها دانى الدار لاصقاً ... ولكنّ ما أخشى فديت عدانى
فواحزنا حزناً يؤدى إلى الردى ... فأصبح مأسوراً بكل لسان
أرانى انقضت أيام وصلى بينكم ... وآذن فيكم بالوداع زمانى

عتاب أبى نواس وجنان

بلغ أبا نواس أن امرأة ذكرت لجنان عشقه لها فشتمته جنان وتنقصته وذكرته أقبح الذكر . فأنشد يقول

واباء بى من إذا ذكرت له ... وطول وجدى به تنقصنى
لو سألوه عن وجه حجته ... فى سبه لى لقال يعشقنى
نعم إلى الحشر والتنادى نعم ... أعشقه أو ألقى فى كفنى
أصبح جهراً لا أستسر به ... عنفنى فيه من يعنفنى
يا معشر الناس فاسمعوه وعوا ... إن جناناً صديقة الحسن

فبلغها ذلك فهجرته وأطالت هجره ، فرآها ليلة فى منامه وانها قد صالحته . فكتب اليها :

إذا التقى فى النوم طيفانا ... عاد لنا الوصل كما كانا
يا قرة العين فما بالنا ... نشقى ويلتذ خيالانا
لو شئت إذ أحسنت لى فى الكرى ... أتممت إحسانك يقظانا

يا عاشقين اصطلحا فى الكرى … وأصبحا غضبى وغضبانا
كذلك الأحلام غدارة … وربما تصدق أحيانا

غضب أبو نواس ورضاؤه عليها

رأى أبو نواس جناناً فى ديار ثقيف فقابلته بما كره . فغضب وهجرها مدة . فأرسلت اليه رسولا تصالحه . فرده ولم يصالحها . فرآها فى النوم تطلب صلحه فقال :

دست له طيفها كيما تصالحه … فى النوم حين تأبى الصلح يقظاناً
فلم يجد عند طيفى طيفها فرجاً … ولا رثى لتشكيه ولا لانا
حسبت ان خيالى لا يكون لما … أكون من أجله غضبان غضبانا
جنان لا تسأليني الصلح سرعة ذا … فلم يكن هينا منك الذى كانا

وبعد ذلك ورد اليه كتاب منها وفى سطوره بعض المحو فكتب اليها يقول :

أكثرى المحو فى كتابك وامحيه م إذا ما محوته باللسان
وامررى بالمحاء بين ثناياك م العذاب المفلجات الحسان
إننى كلما مررت بسطر … فيه محو لطعته بلسانى
تلك تقبيلة لكم من بعيد … أهديت لى وما برحت مكانى

وصف أبى نواس لمحبوبته جنان

رأى أبو النواس جنانا فى مأتم سيدها تنديه باكية وهى مخضبة فقال بديهاً

يا قمراً ابرزه مأتم … يندب شجواً بين أتراب
يبكى فيذرى الدر من نرجس … ويلطم الورد بعناب
لا تبكى ميتاً حل فى حفرة … وابك قتيلا لك بالباب
أبرزه المأتم لى كارها … برغم دايات وحجاب
لا زال موتاً دأب احبابه … ولا تزل رؤيته دابى

اعتلال أبي نواس لعلة جنان

دخل على أبي النواس بعض أصحابه يعودونه وهو مريض فوجدوا به خفة . فلما رآهم فرح وسر لقدومهم ثم قال: من أين جئتم . قالوا من عند جنان. فقال أوكانت عليلة . قالوا نعم وقد عوفيت الآن . فقال والله أنكرت علتي هذه ولم أعرف لها سببا غير أني توهمت أن ذلك لعلة نالت بعض من أحب . ولقد وجدت في يومي هذا راحة ففرحت طمعا أن يكون الله عافاها منه قبلي، ثم دعا بدواة وكتب إلى جنان:

إني حممت ولم أشعر بحماك ... حتى تحدث عوادي بشكواك
فقلت ماكانت الحمى لتطرقني ... من غير ما سبب الا بحماك
وخصلة قمت فيها غير متهم ... عافاني الله منها حين عافاك
حتى إذا ما انقضت نفسي و نفسك في ... هذا وذاك وفي هذي وفي ذاك

فضل الشاعرة وزائرها

قال يحي بن الخصيب : كنت عند فضل الشاعرة إذ استأذن عليها انسان . فأذنت له وقالت ما حاجتك . قال تجيزين مصراع بيت من الشعر . قالت ما هو . قال :

من لمحب أحب في صغره

فقالت

فصار أحدوثة على كبره

من نظر شفه وارقه ... فكان مبدأ هواه من نظره
لولا الاماني لمات من كمد ... مر الليالي تزيد في ذكره
ما ان له مسعد فيسعده ... بالليل في طوله وفي قصره

محمد بن العباس وفضل الشاعرة

كتب محمد بن العباس اليزيدي يوما إلى فضل الشاعرة هذه الأبيات

أصبحت فرداً هائم العقل ... إلى غزال حسن الشكل
اضنى فؤادي طول عهدي به ... وبعده عني وعن وصلي
منية نفسي في هوى فضل ... أن يجمع الله بها شملي
أهواك يا فضل هوى خالصا ... فما بقلبي عنك من شغل

فأجابته تقول

الصبر ينقص والسقــام يزيد والدار دانية وأنت بعيــدُ
أشكوك أم أشكو اليك فإنه لا يستطيع سواهما المجهــود
إنى أعوذ بحرمتى بك فى الهــوى من أن يطاع لديك فىّ حسود

فضل وأحد جلساء الخليفة

كانت فضل تهوى أحد جلساء الخليفة سراً فكتب لها خليلها يوما رقعة سلمها إياها ، فأخذتها فلما فضتها وجدت فيها

ألا ليت شعرى فيك هل تذكرينني فذكراكِ فى الدنيا إلىّ حبيبُ
وهل لى نصيب من فؤادك ثانيا كما لك عنــدى فى الفؤاد نصيب
ولست بموصول فأحيا بزورة ولا النفس عند اليأس عنك تطيب

فكتبت اليه

نعم وإلهــى أننى بك صبــة فهل أنت يا من لا عدمت مثيبُ
لمن أنت منه فى الفؤاد مصــور وفى العين نصب العين حين تغيب
فثق بوداد أنت مظهــر مثــله على أن بى سقما وأنت طبيب

المتوكل وفضل الشاعرة وبنان

إتكأ المتوكل يوما على يد فضل الشاعرة وبنان وجعل يمشى فى داره وقال لهما أجيزا لى قول الشاعر

تعلمت أسباب الرضا خوف عتبها وعلمها حبى لهــا كيف تغضبُ

فقالت فضل

تصــد وأدنو بالمودة جاهــداً وتبعــد عنى بالوصال واقرب

فقال بنان :

وعندى لها العتبى على كل حالة فما منــه لى بد ولا عنه مذهب

فضل الشاعرة وصديق بن أبى طاهر

ألقى أحد أصحاب أحمد بن أبي طالب على فضل الشاعرة يوما هذا البيت

ومستفتح باب البـــلاء بنظرة ... تزود منها قلبه حسرة الدهـــر

فقالت بديهة

فوالله لا يدرى أتدرى بمـا جنت ... على قلبه أو أهلكته وما تدرى

سعيد بن حميد وفضل الشاعرة

كان بين فضل وسعيد حميد الشاعر مراسلات ومواصلات أدبية فحضر مجلسها يوما ومعه بنان . فأقبلت على بنان وتركته فذهب مغضبا فظهر لها فى وجهه ذلك فكتبت اليه :

وعيشك لو صرحت باسمك فى الهوى ... لا قصرت عن أشياء بالهزل والجد

ولكننى أبدى لهـــذا مـــودتى ... وذاك واخلو فيك بالبث والوجد

مخـــافة أن يغرى بنا قـــول كاشح ... عدو فيسعى بالوصال إلى الصـــد

فكتب اليها سعيد

تنامين عن ليـــلى واسهره وحدى ... وأنهى جفونى أن تبثك ما عندى

فان كنت لا تدرين ما قـــد فعلته ... بنـا فانظـــرى مـاذا على قاتل العمد

المتوكل وفضل الشـاعرة

قال المتوكل:كان بيني وبين فضل موعد للقاء فشربت قبل مجيئها وسكرت فنمت. فجاءت فضل فحركتنى فلم أنتبه ،فلما يئست من إيقاظى كتبت رقعة ووضعتها على مخدتى وأنصرفت . فلما انتبهت وجدتها فإذا مكتوب فيها

قد بدا شبهـــك يا مو ... لاى يحـدوا بالظـلام

قم بنـا نقضى لبانـا ... ت الـــتزام والتـآم

قبـل أن تفضحنا عو ... دة أرواح النيـــام

سعيد بن حميد وفضل الشاعرة

دخلت فضل يوماً على سعيد بن حميد ،فوثب اليها وسلم عليها وسألها أن تقيم عنده فقالت قد جاءنى وحياتك رسول من القصر فليس يمكننى الجلوس وكرهت أن أقيم ببابك ولا أراك . فقال سعيد بديهة

قربت ولا نرجو اللقاء ولا نرى لنا حيلة يدنيك منا احتيالها
فأصبحت كالشمس المنيرة ضوؤها قريب ولكن أين منا منالها
وظاعنة ضنت بها غربة النوى علينا ولكن قد يلم خيالها
تقر بها الآمال ثم تعوقها عاطلة الدنيا بها واعتلالها
ولكنها أمنية فلعلها يجود بها صرف النوى وانتقالها

وتغاضب سعيد بن حميد وفضل أياماً فكتب اليها:

تعالى نجدد عهد الرضا ونصفح فى الحب عما مضى
ونجرى على سنة العاشقين ونضمن عنى وعنك الرضا
ويبذل هذا لهذا هواه ويصبر فى حبه للقضا
ونخضع ذلا خضوع العبيد لمولى عزيز إذا أعرضا
فانى مذ جَدّ هذا العتاب كأنى أبطنت جمر الغضا

فصارت اليه وصالحته .

تخلف فضل عن سعيد بعد حبها له

بينما كان سعيد يوماً فى مجلس الحسن بن مخلد إذ جاءه غلام برقعة من فضل. فقرأها فاذا هى تصف شوقها وتشكو ما تلقاه على البعد . فكتب اليها هذه الأبيات

يا واصف الشوق عندى من شواهده قلب يهيم وعين دمعها يكفُ
والنفس شاهدة بالود عارفة وأنفس الناس بالأهواء تأتلف
فكن على ثقة منى وبينة إنى على ثقة من كل ما تصف

فلما وصل اليها الجواب طاب قلبها وسارت اليه وأقامت عنده عامة النهار وكرت

راجعة .ولما تعشقت بنان ابن عمر المغنى وعدلت عن سعيد أسف عليها ، وأظهر تجلداً ثم قال فيها

قالوا تعزى وقد بانوا فقلت لهم   بان العزاء على آثار من بانا
وكيف يملك سلوانا لحبهم   من لم يطق للهوى سراً وكتمانا
كانت عزائم صبرى أستعين بها   صارت علىّ بحمد الله أعوانا
لا خير فى الحب لا تبدى شواكله   ولا ترى منه فى العينين عنوانا

فلما بلغها الأبيات وما يقاسى لأجلها ندمت على ما كان ، وعادت فقالت له ها أنا أموت وتستريح مى . فأنشأ يقول :

لا متى قبلىَ بل أحيا وأنت معا   ولا أعيش إلى يوم تموتينا
لكن نعيش بما نهوى ونأمله   ويرغم الله فينا أنف واشينا
حتى إذا قدر الرحمن ميتتنا   وحان من أمرنا ما ليس يعدونا
متنا جميعا كغصنى بانة ذبلا   من بعد ما نضرا واستوثقا حينا

واجتمع بها ذات يوم فى مجلس حافل . وبينا هم جالسين إذ دخل عليهم بنان المذكور . فأقبلت عليه فضل بحديثها . فغضب سعيد غضبا شديداً . وتبين بنان القصة فانصرف . وأقبل عليها سعيد يعذلها ويؤنبها ساعة ، ثم أمسك فقالت منشدة :

يا من أطلت تفرسى   فى وجهه وتنفسى
أفديك من متدلل   يزهو بقتل الأنفس
هبنى أسأت وما أسأ   ت بلى أقول أنا المسى
أحلفتنى أن لا أسار   ق نظرة فى مجلسى
فنظرت نظرة مخطىء   اتبعتها بتفرس
ونسيت أنى قد حلفـ   ت فما عقوبة من نسى

فقام سعيد وقبل رأسها وقال : لا عقوبة عليه بل نحتمل هفوته ونتجافى عن إساءته .

العباس بن الاحنف

كان بعض الفتيان مجتمعين فى حلقة لهو وطرب ، فمر بهم رجل لطيف حلو الوجه سرى الهيئة عليه سيماء المجد والنعم فقال : إنى سمعت بجتمعكم وحسن منادمتكم وصحة الفتكم ، فأحببت أن أكون واحداً منكم فلا تحتشمونى . فقالوا له: اهلا وسهلا على الرحب والسعة . فجلس وإياهم يحدثهم بألطف الأحاديث وأعذب الكلام ففتنوا به . ثم قالوا له : ما اسمك الكريم . قال: العباس بن الاحنف . قالوا: إن رأيت ان تحدثنا بسبب تشريفك إيانا.قال : السبب فى ذلك انى أحب جارية فى جواركم فكنت اترقب مرورها لانعم نظرى بوجهها الحسن . فما زلت على ما أنا به من الشغف والكلف والشوق إلى نور وجهها إلى هذا اليوم . فجلست حيناً انتظرها فلم تمر فزاد منى لاعج الوجد وصرت كالحائر الولهان.فلما يأست من قدومها والنظر إلىرائق وجهها ورأيتكم على ما أنتم الآن من الأنس والطرب، وددت مجالستكم والمؤانسة برقة كلامكم لاخفف عنى ما ترون من العشق والصبابة فقالوا له : ساعدك الله على ما تريد فأنا فى قلق عليك . ثم ذهب عنهم ولم يعد إلا بعد عشرين يوماً. فتلقوه جميعاً بكل فرح وسألوه عن طول غيابه . فقال : دعانى أمير المؤمنين لأمر يهمه فذهبت إلى يحيى بن خالد فقال لى : ويحك يا عباس انما اخترناك شاعراً ظريفاً ونديماً لطيفاً لقرب مأخذك وحسن تأتيك،فما لك لا تفتكر بنا ولا تأتى الينا، فانه حدث بين أمير المؤمنين واحدى وصائفه التى يحبها عتب وملام وخلاف وكلام فهى بصفة معشوق تأبى أن تعتذر وهو بعز الخلافة وشرف الملك يأبى ذلك ، وارى أن تعمل بعض أبيات تكون أهلا لاستمالة قلبه تسهل عليه استعباد الصبابة . ففكرت فلم يخطر لى شىء . فلما لج فى لومى كتبت له أربعة أبيات اعقبتها ببيتين آخرين فقلت :

العاشقان كلاهما متغضب وكلاهما متوجد متعتبُ
صدت مغاضبة وصدّ مغاضباً وكلاهما بما يعالج متعب
راجع احبتك الذين هجرتهم ان المتيم قلمـــا يتجنب
ان التجنب ان تطاول منكما دب السلو له وعز المطلب

ثم كتبت تحت ذلك :

لا بد للعاشق من وقفـــة تـكون بين الهجر والصرم
حتى إذا الهجر تمادى به راجع من يهوى على رغم

ثم وجهت بالـكتاب إلى يحي بن خالد فدفعه إلى الرشيد فقال والله ما رأيت شعراً أشبه بما نحن فيه من هذا فكأنى قصدت به . فقال له يحي : وأنت والله يا أمير المؤمنين المقصود به هذا يقوله العباس بن الأحنف. ولما بلغ أمير المؤمنين قوله (راجع من يهوى على رغم) استغرب ضحكا حتى سمعت ضحكة الجارية . ثم دخل اليها بوجه بشوش على غير ما كانت تنتظر وبيده تلك الورقة ، فلما رأته عجبت لذلك وسألت عن سبب رضائه ، فقال هو هذه الأبيات فاقرأيها بالله . فلما قرأتها سرت كثيراً وقالت من نظمها قال العباس بن الأحنف قالت لله دره فكم أعطيته عليها قال : ذهلت عن عطائه لكثرة فرحي واندهاشي ثم أمرت لى بخلعة سنية . وعادت معه إلى سابق الحب ورائق العيش والوداد

أبو العباس بن الأحنف

قال الأصمعى : بينا أنا ذات يوم قاعد فى مجلس بالبصرة فإذا بغلام أحسن الناس وجهاً ونوراً واقف على رأسى ، فقال ان مولاى يريد أن يوصى اليك فقمت معه فأخذ بيدى حتى أخرجنى إلى الصحراء ، فإذا أنا بالعباس بن الأحنف ملق وهو يجود بنفسه ويقول

يابعيـــد الدار عن وطنهْ مفـرداً يبـكى على شجنهْ
كلـا جـــد النحيب به زادت الأســـقام فى بدنه

ثم أغمى عليه فانتبه بصوت طائر على شجرة وهو يقول

ولقد زاد الفـــؤاد شجى هاتف يبكى على فننـــه
شاقنى ما شاقه فبـكى كلنـا يبـكى على سكنه

ثم أغمى عليه فظننتها مثل الأولى فإذا هو ميت .

عنترة وعبـــلة

أحب عنتر بن شداد عبلة ابنة عمه وزاد هيامه بها ففي أحد الأعياد بينما كان سائراً بين الخيام وقع نظره عليها وهي تخطر في هالة حسناء من ربات المعاطف وغادات الدلال ، فزاد منه الهيام وأنشد

رمت الفؤاد مليحة عذراء بسهام لحظ ما لهن دواء
مرت أوان العيد بين نواهد مثل الشموس لحاظهن ظباء
فاعتادني سقمي الذي في باطني أخفيتـــه فأذاعه الإخفـاء
خطرت فقلت قضيب بان حركت أعطافه بعد الجنوب صباء
ودنت فقلت غزالة مذعورة قد راعها وسط الفلاء بلاء
وبدت فقلت البدر ليلة تمه قد قلدته نجـــومها الجوزاء
بسمت فلاح ضياء لؤلؤ ثغرها فيـه لداء العاشقين شـــفاء
سجدت تعظم ربها فتمايلت لجلالهـا أربابنـــا العظماء
ياعبلَ مثل هواك أو اضعافه عندي إذا دفع الأياس رجاء
ان كان يسعدني الزمان وان أبى فلهمتي في صـــرفه أدواء

فلما سمعت عبلة هذا الكلام وقع في قلبها مثل ما في قلبه من لاعج الحب والهيام فكتمت ما في نفسها منه. فبينما كان عنتر أحد الأيام يقدم اللبن إلى الاماء والمخدرات ، لاحت له عبلة فأشغلت فؤاده وكاد يعدم عقله ورشاده، فقدم لها اللبن قبل سمية زوجة أبيه شداد ففضبت سمية لتلك الجسارة وثارت منها عوامل الغيرة فأخبرت أبيه بما جرى ، فأمر بأن يشد وثاقه ويحبس في بعض الخيام ، فحبس فهجم يوما قوم على حيهم حين غياب شداد عنه فقتلوا العبيد وأخذوا يسبون النساء والأطفال . فلما علم عنتر بما جرى ورأى حبيبته عبلة حيرى بين الخيام عرضة للسبي والتهتك ، دفعته الشهامة إلى خلاصها وخلاص من معها فتمطى بالوثاق فقطعه وهجم على القوم فمزقهم طرائق وخلص من أيديهم جميع النساء فلما أتى شداد ورأى عنتر محلول الوثاق زاد منه

الغيظ والغضب ونزل عليه بضرب السياط . فوقفت سمية تظلله وتدفع عنه الضرب الموجع وقد انحدرت من طرفها العبرات، فعجب شداد لذاك الانقلاب وقال لها ياسمية قد كنت أنت سبب شده فى الوثاق واثارة غضبي عليه ، فمالك الآن تحامينه بنفسك وتصبين اليه شفقة وحناناً فاعلمته سمية بما جرى وما أبداه عنتر من الشجاعة والمروءة فرق له وعفا عنه . فلما رأى عنتر ما أبدته سمية نحوه من الشفقة وما سكبته لأجله من العبرات أنشد يقول

أمن سمية دمع العين منحدر ... أم من لهيب جوى فى القلب مستعرُ
قامت تظللنى والسوط يأخذنى ... والدمع من جفنها الفتان منهمر
كأنها حين ما أرخت ذوائبها ... بدر بدا وظلام الليل معتكر
المال مالكم والعبد عبدكم ... والروح تفديكم والسمع والبصر

مفارقة عنترة لابنة عمه

كان عنتر من شدة حبه لعبلة وشغفه بها ينشد فيها الأشعار ويردد ذكرها دواماً فلما بلغ عمه ذلك الخبر غضب منه وحقد عليه فأبعده عن الأحياء التى فيها عبلة . فسار كئيباً كسير الفؤاد إلى جهة بنى فزاره ، فنزل ورجل من قومه يدعى حذيفة على مرج أفيح، وكان الوقت ربيعاً والأرض قد رفلت ببديع زهرها، ونشرت حللها الملونات على الصحارى والربوات وفاح بها الزهر من سائر الجهات فلما رأى حذيفة تقصير عنتر فى أكله وشربه قال له مشفقا ياعنتر إلى متى يكون هذا الغم والكمد ألا تعلم أن هذا يهدم ما تبنيه من مجدك وعلاك ، وان عمك خاسر فى هذه الفعال التى سوف يندم عليها فقال عنترة : والله ياحذيفة لا آسف إلا على الجميل الضائع وعدم اعتبارى فى أعينهم . ثم جالت الدموع فى عينيه وتحسر مما جرى له ، فقام وأوسع فى الفلاة ليسلى نفسه من ذاك البلاء ، وإذا بسرب حمام تساقطنَ على أغصان الشجر وتجاوبنَ بالنوح كما تتجاوب النساء الثاكلات فأجرين من جفناته العبرات وتصاعدت من أنفاسه الزفرات فأنشد :

يا طائر البان قد هيجت أشجانى … وزدتنى طرباً يا طائر البان
ان كنت تندب الفاً قد فجعت به … فقد شجاك الذى بالنأى أشجانى
زدنى من النوح واسعدنى على حزنى … حتى ترى عجباً من فيض أجفانى
وانظر إلى نار وجدى لا تكن جفلا … واحذر على الروح من أنفاس نيرانى
وطر لعلك فى أرض الحجاز ترى … ركبا على عالج أو دون نعمان
يسرى بجارية تنهل أدمعها … شوقا إلى وطن ناء وجيران
ناشدتك الله يا سرب الحمام إذا … رأيت يوما حمول القوم فانعانى
وقل طريح تركناه وقد فنيت … دموعه فهو يبكى بالدم القانى
ويسأل الريح من أى الجهات أتت … عنكم سؤال سليب العقل حيران
أقسمت لو كان فوق الشمس منزلها … أو فوق أعلى السهى أو ظهر كيوان
لا بد أشفى غليل القلب من رجل … بغدره عن بلوغ القصد أقصانى

أبو فراس الشاعر

أسر أبا فراس الشاعر جماعة من الروم فى بعض وقائعها وكان يحب فتاة رآها قبل الأسر . فبينما هو فى أسره طرأ مسمعه شدو حمامة بقربه تنوح على شجرة عالية، فهاج منه ساكن الغرام وأنشد يقول

أقول وقد ناحت بقربى حمامة … أيا جارتا هل تشعرين بحالى
معاذ الهوى ما ذقت طارقة النوى … ولا خطرت منك الهموم ببالى
أيا جارتا ما أنصف الدهر بيننا … تعالى أقاسمك الهموم تعالى
أيضحك مأسور وتبكى طليقة … ويسكت محزون ويندب سالى
لقد كان أولى منك بالدمع مقلة … ولكن دمعى فى الحوادث غالى

على بن زريق البغدادى وابنة عمه

كان له ابنة عم كلف بها أشد الكلف ثم ارتحل عنها من بغداد لفاقة علته

فقصد أبا الخير عبد الرحمن الأندلسى فى الأندلس ومدحه بقصيدة بليغة فأعطاه عطاء قليلا فقال ابن زريق إنا لله وإنا إليه راجعون سلكت القفار والبحار إلى هذا الرجل فأعطانى هذا العطاء ثم تذكر فراق ابنة عمه وما بينهما من بعد المسافة وتحمل المشقة مع ضيق ذات يده فاعتل غماً ومات وأراد عبد الرحمن بذلك أن يختبره فلما كان بعد أيام سأل عنه فتفقدوه فى الخان الذى كان فيه فوجدوه ميتاً وعند رأسه رقعة مكتوب فيها

لا تعذليه فإن العذل يولعه ... قد قلت حقاً ولكن ليس يسمعه
جاوزت فى نصحه حداً أضرّ به ... من حيث قدرت ان النصح ينفعه
فاستعملى الرفق فى تأنيبه بدلا ... من عنفه فهو مضنى القلب موجعه
قد كان مضطلعاً بالخطب يحمله ... فضلعت بخطوب البين أضلعه
يكفيه من روعة التفنيد ان له ... من الجوى كل يوم ما يروعه
ما آب من سفر إلا وأزعجه ... عزم إلى سفر بالرغم يزمعه
تأبى المطالب إلا أن تكلفه ... للرزق سعيا ولكن ليس يجمعه

ومنها استودع الله فى بغداد لى قمر ... بالكرخ من فلك الأزرار مطلعه
ودعته وبودى لو يودعنى ... صفو الحياة وانى لا أودعه
وكم تشفع بى أن لا أفارقه ... وللضرورات حال لا تشفعه
على الليالى التى أضنت بفرقتنا ... جسمى ستجمعنا يوما وتجمعه
وان تغل أحداً منا منيته ... لا بد فى غده الثانى سيتبعه
وان يدم أبداً هذا الفراق لنا ... فما الذى بقضاء الله نصنعه

على بن الجهم وجارية له

كتبت جارية على بن الجهم له رقعة فأجاب فيها :

ما رقعة جاءتك مختومة ... كأنها خد على خدِّ
تبدو سواداً فى بياض كما ... ذر فتيق المسك فى الوردِ

ساهمة الأسطر مصروفة عن جهة الهزل إلى الجد
يا كاتباً اسلمني عتبه اليه حسبي منك ما عندي

فلم تمض مدة حتى كتبت له :

قلب يمل على لسان ناطق ويد تخط رسالة من عاشق
مزج المداد بعبرة شهدت له من كل جارحة بقلب صادق
فيمينه تحت الوساد وخده ويساره فوق الفؤاد الخافق

على بن الجهم وجارية المازنى

قال على بن الجهم : دخلت على أبى عثمان المازنى وعنده جارية كأنها شقة قمر وبيدها تفاحة فقالت : عرفت ما أراد الشاعر بقوله

خبريني من الرسول اليك واجعليه من لا ينم عليك

قلت ما أعرفه . قالت : هو هذه ورمت لى بالتفاحة . فو الله ما وجدت لها جواباً من نظير كلامها

حب كثير لعزة

كان سبب دخول الهوى فى قلبه ان كثير أمر بغنم له ترد الماء على نسوة من صخرة بوادي الخبت . فأرسلت له عزة بدريهمات تشترى بها كبشاً لهن منه. فنظرها نظرة متأمل فداخله منها ماكان . فرد الدراهم وأعطاها الكبش وقال : ان رجعت أخذت حقى فلما عاد سألته ذلك فقال لا أقتضى إلا من عزة فقلن له ليس فيها كفاءة فاختر احدانا فأبى وأنشد

نظرت اليها نظرة وهى عاتق على حين ان شبت وبان نهودها
نظرت اليها نظرة ما يسرنى بها حمر أنعام البلاد وسودها

فجعلن يبرزنها له كارهة حتى داخلها ما داخله من الحب .

كثير عزة والعجوز

خرج لزيارة عزة يوماً ومعه أدوات ماء فجفت من الحر ورفعت له نار . وإذا بعجوز تناديه : من الرجل فقال صاحب عزة فقالت له : أنت القائل :

إذا ما أتينا خلة كى تزيلنا أبين وقلنا الحاجبية أولُ
سنوليك عرفاً إن أردت وصالنا ونحن لتلك الحاجبية أوصل

هلا قلت كما قال جميل

يا ربّ عارضة علينا وصلها بالجدّ تخلطه بقول الهازل
فاجبتها بالقول بعد تأمل حبى بثينة عن وصالك شاغلى
لو كان فى قلبي كقدر قلامة فضل لغيرك ما أتتك رسائلى

والله لاسقيتك شيئا . فتركها وانصرف ولما اشتدت حالته أنشد

يزهدنى فى حب عزة معشر قلوبهم فيها مخالفة قلبى
فقلت دعوا قلبى وما اختار وارتضى فبالقلب لا بالعين يبصر ذو اللب
وما تبصر العينان فى موضع الهوى ولا تسمع الآذان إلا من القلب

كثير وعزة وغلامه

كان لكثير غلام يتجر على العرب فاعطى النساء إلى أجل . فلما اقتضى ماله ممن ماطلته عزة . فقال لها يوما وقد حضرت فى نساء . أما آن أن تفى بما عندك . فقالت حبا وكرامة لم يبق إلا الوفاء . فقال صدق مولاى حيث يقول :

قضى كل ذى دين فوفى غريمه وعزة ممطول معنى غريمها

فقلن له أتدرى من هى غريمتك فقال لا أدرى . قلن هى والله عزة قال أشهدكن علىّ أنها فى حل مما عندها ومضى فأخبر مولاه بالحكاية فقال وأنت حر وما عندك لك وأنشد :

سيهلك فى الدنيا شفيق عليكم إذا غاله من حادث الدهر غائله

يود بأن يمسى سقيما لعلها إذا سمعت عنه بشكوى تراسله
ويهتز للمعروف فى طلب العلا لتحمد يوما عند عز شمائله

ومما قال فيها

لا تغدرن بوصل عزة بعدما أخذت عليك مواثقا وعهودا
إن المحب إذا أحب حبيبه صدق الصفاء وأنجز الموعودا
الله يعلم لو أردت زيارة فى حب عزة ما وجدت مزيدا
رهبان مدين والذين عهدتهم يبكون من حذر العذاب قعودا
لو يسمعون كما سمعت حديثها خروا لعزة خاشعين سجودا

أبو العتاهية ومحبوبته عتبة

كان لربطة بنت السفاح جارية حسناء رقيقة ظريفة أديبة بارعة فى الجمال والكمال وكان يعشقها أبو العتاهية. فوجهت سيدتها يوما إلى عبد الله بن مالك الخزاعى فى شراء رقيق للعتق وأمرت عتبة أن تحضر ذلك. فبينما كانت جالسة إذ جاء أبو العتاهية فى زى متنسك فقال جعلنى الله فداك شيخ ضعيف كبير لا يقوى على الخدمة، فإن رأيت أعزك الله شرائى وعتقى فعلت أجراً عظيما. فأقبلت على عبد الله فقالت له. انى لأرى هيئة جميلة وضعفا ظاهراً، ولسانا فصيحا، ورجلا أديبا فاشتره واعتقه. فقال نعم. فقال أبو العتاهية: أتأذنين لى أصلحك الله فى تقبيل يدك فأذنت له. فقبل يدها وانصرف. فضحك عبد الله بن مالك وقال: أتدرين من هذا قالت لا. قال هذا أبو العتاهية وإنما احتال عليك حتى يقبل يدك وظل أبو العتاهية مغرما بها إلى أن مات وجداً ولم يشف منها غليلا. ومما قاله فيها

بالله ياحلوة العينين زوريني قبل الممات وإلا فاستزيريني
هذان أمران فاختاري أحبهما اليك أو لا فداعي الموت يدعوني
إن شئت موتا فأنت الدهر مالكة روحي وإن شئت أن أحيا فاحييني
انى لأعجب من حب يقربني ممن يباعدني عنه ويقصيني
يا أهل ودي انى قد لطفت بكم فى الحب جهدي ولكن لا تبالوني

الحمـــد لله قد كنا نظنكم من أرحم الناس طراً بالمساكين
أما الكثير فلا أرجوه منك ولو أطمعتنى فى قليل منك يكفينى

أبو دهبل الشاعر وعاتكة

كانت عاتكة ابنة معاوية بن أبى سفيان الأموى فتاة فتانة ناعسة الطرف ، جميلة القد تحسن الغناء وتبدع فى ضروبه . فاستأذنت يوما من أبيها فى الذهاب إلى الحج فسمح لها فتجهزت وسارت مع رفيقاتها على ظهور المطايا فلما وصلت إلى مكة بذى طوى . مر بها وهب الجحمى المعروف بأبى دهبل . وكان شاعراً جميلا . فجعل يسارقها النظر وجمرات الوجد تتأجج بفؤاده قاذفة بالشرر وكان الوقت هجيراً والجوارى رافعات عنها الأستار ، ففطنت له فذعرت وشتمته كثيراً ثم أمرت بالسجوف فحجبت بظلامها شمس النهار فقال

أنى دعانى الحين فاقتادنى حتى رأيت الظبى بالباب
يا حسنه إذ سبنى مدبرا مستتراً عنى بجلبـــاب
سبحان من أوقفها حرة صبت على القلب بأوصاب
يذود عنها ان تطلبتهـا أب لهـا ليس بوهاب
أحلها قصراً منيع الذرى يحمى بأبواب وحجاب

فشاعت أبياته فى مكة واشتهرت وغنى بها حتى سمعتها عاتكة انشاداً وغناء ، فطربت لها وسرت وبعثت اليه تهديه فتراسلا وتحابا ولما عادت من مكة خرج فى ركبها إلى الشام ، فكانت تتعاهده باللطف والإحسان ، حتى إذا وردت دمشق ورد معها فانقطعت عن لقائه ، فمرض حتى عز شفاء دائه فقال :

طال ليلى وبت كالمجنون ومللت الثواء فى جيرون
وأطلت المقام بالشام حتى ظن أهلى مرجمات الظنون
فبكت خشية التفرق جمل كبكاء القرين اثر القرين
وهى زهراء مثل لؤلؤة الغواص م نيرت من جوهر مكنون
وإذا ما نسبتهـا لم تجدهـا فى سناء من المكارم دون

ثم خاصرتها إلى القبة الخضراء م تمشى فى مرمر مسنون
ليت شعرى أمن هوى طال ليلى أم برانى البارى قصير الجفون

ففشا هذا الشعر حتى بلغ معاوية أباها . فصبر حتى إذا كان يوم الجمعة دخل عليه الناس يسلمون وينصرفون وكان فيهم وهب فلما أزمع الرجوع ناداه معاوية حتى إذا خلا لهما الجو قال : ما كنت أحسب أن فى قريش أشعر منك حيث تقول :

ليت شعرى أمن هوى طار نومى أم برانى البارى قصير الجفون

غير أنك قلت

وإذا ما نسبتها لم تجدها فى سناء من المكارم دون

والله ان فتاة أبوها معاوية وجدها أبو سفيان وجدتها هند بنت عتبة لكما ذكرت وأى شيء زدت فى قدرها ولقد أسأت بقولك : « ثم خاصرتها الخ » . فقال . والله لم أقل هذا وإنما قيل عن لسانى فقال معاوية أما منى فليهدأ روعك لأنى عليم بعفاف ابنتى وانه مغتفر لفتيان الشعراء التشبب بمن أرادوا ، ولكنى أكره لك جوار أخيها يزيد ، فإن له سورة الشباب وأنفة الملوك . فحذر وهب ورحل إلى مكة . فبينما معاوية فى مجلسه يوما إذا بخصى يقول له لقد ورد يا أمير المؤمنين إلى عاتكة اليوم كتاب أبكتها تلاوته بما أصارها حتى الساعة حزينة فقال على به بألطف حيلة فلما أوتيه قرأ فيه :

أعاتك هلا إذ بخلت فلا ترى لذى صبوة زلفى لديك ولا يرقى
رددت فؤاداً قد تولى به الهوى وسكنت عيناً لا تمل ولا ترقى
ولكن خلعت القلب بالوعد والمنى ولم أر يوماً منك جوداً ولا صدقا
أتنسين أيامى بربعك مدنفاً صريعاً بأرض الشام ذا سقم ملقى
وليس صديق يرتضى لوصية وأدعو لدائى بالشراب فما أسقى
وأكبر همى أن أرى لك مرسلا فطول نهارى جالسا أرقب الطرقا
فواكبدى إذ ليس لى منك مجلس فأشكو الذى بى من هواك وما ألقى
رأيتك تزدادين للصب غلظة ويزداد قلبي كل يوم بكم عشقا

فبعث إلى يزيد . فلما جاء وجده مطرقا كئيبا فاستجلاه الأمر فقال هو نبأ يقلق فيمرض ، ان هذا الوغد القرشى كاتب أختك بهذه الأبيات ، فلم تزل باكية حتى الساعة . قال يزيد : الخطب دون ما تتوهم ، عبد لنا يرصده ويقتله فقال معاوية يا يزيد والله إن تقتل قرشيا هذا حاله صدق الناس مقاله قال يا أمير المؤمنين انه نظم أبياتا غير هذه تناشدها المكيون فسارت حتى بلغتنى فأوجعتنى ، وحملتنى على ما أشرت فقال وما هى فأنشد

ألا لا تقل مهلا فقد ذهب المهلُ ... وما كان من يلحى محبا له عقلُ
حمى الملك الجبار عنى لقاءها ... فمن دونها تخشى المتالف والقتل
فلا خير فى حب يخاف وباله ... ولا فى حبيب لا يكون اه وصل
فواكبدى انى اشتهرت بحبها ... ولم يك فيما بيننا ساعة بذل
ويا عجبا انى أكاتم حبها ... وقد شاع حتى قطعت دونه السبل

فقال معاوية والله قد فهمت المعنى لأنى أراه يشكو الحرمان فالخطب فيه يسير ثم حج عامئذ للسبب عينه ولما انقضت المناسك دعا بأشراف قريش وشعرائهم وأجزل لهم الصلات . فلما أزمع وهب الانصراف قال : إيه يا وهب مالى ارى يزيداً ساخطا عليك فى أبيات تأتيه عنك وشعر تنطق به فاعتذر أبو دهبل وأنكر ما أشيع عنه . فقال معاوية : لا بأس عليك وما يضرك ذلك فأى بنات عمك أحب اليك . قال فلانة . قال قد زوجتك بها وأمهرتها بألفى دينار ووهبتك الف دينار . فلما استوفاها قال : إن رأى أمير المؤمنين أن يعفو عما مضى وأما ابنة عمى فهى طالق وحسبي ذكر عاتكة والتمتع منها بالنظر . فوفى بوعده وبقيت عاتكة مغرمة به إلى أن مات .

ابراهيم الموصلى وذات الخال

كان ابراهيم الموصلى يعشق جارية فتانة لابن الخطاب ، وكانت تحتجب دوما فى خباءها عند سيدها المذكور . فلما آنس ابراهيم منها ذلك أنشد يقول :

ما بال شمس أبى الخطاب قد حجبت ... يا صاحبيّ لعل الساعة اقتربتْ
أو لا فما بال ريح كنت آنسها ... عادت علىّ بضر بعد ما جنبت
إليك أشكو أبا الخطاب جارية ... غريرة بفؤادى اليوم قد لعبت
وأنت قيمها فانظر لعاشقها ... يا ليتها قربت منى وما بعدت

وقال فيها أيضا

جزى الله خيراً من كلفت بحبه ... وليس به إلا المموه من حبي
وقالوا قلوب العاشقين رقيقة ... فما بال ذات الخال قاسية القلب
وقالوا لها هذا محبك معرضاً ... فقالت أرى إعراضه أيسر الخطب
فما هو إلا نظــرة بتبسم ... فحب انتهاك النفس فى معرض الحب

ولعب ابراهيم الموصلى يوما بالشطرنج مع ابن زيدان صاحب البرامكة فدخل عليهما اسحق فقال أبوه ما استفدت اليوم فقال أعظم فائدة رجل سألنى ما أفخم كلمة فى الفم . فقلت « لا إله إلا الله » فقال أبوه ابراهيم أخطأت فهلا قلت دنيا ودينا ، فغضب ابن زيدان وضرب ابراهيم الموصلى وقال ويحك أتكفر بحضرتى . فأمر ابراهيم غلمانه فضربوا ابن زيدان ضرباً شديداً فانصرف من ساعته إلى جعفر ابن يحي وحدثه الخبر . وعلم ابراهيم أنه قد أخطأ وجنى ذنباً ، فركب إلى الفضل بن يحي فاستجار به . فاستوهبه الفضل من جعفر فوهبه له . فانصرف وهو يقول :

إن لم يكن حب ذات الخال عنانى ... اذا تحولت فى مسك ابن زيدان
فان هذى يمين ما حلفت بها ... إلا على الصدق فى سرى وإعلانى

حمدة بنت زياد الشاعرة

كانت فتاة جميلة شاعرة أديبة ، كأن الأدب نقطة من حوضها وزهرة من روضها ، لها المنطق العذب ، والكلام الحلو ، والثغر الساطع الفتان وكانت ذات مطارحة وأخلاق ، تحدث عن لطفها الزهر غب الأديم ، ونم بمرآها على الحدائق ريح الصبا وساريات النسيم . ومما قالت فى الغزل :

ولما أبى الواشون إلا افتراقنا ... وما لهم عندى وعندك من ثار
وشنو على أسماعنا كل غارة ... وقل حماتى عند ذاك وأنصارى
غزوتهم من مقلتيك وأدمعى ... ومن نفسى بالسيف والسيل والنار

وخرجت مرة للوادى مع حبيبة لها فرأت الأزهار فى جوانبه تتلألأ كأنها النجوم تساقطت من كبد السماء ، والماء فى النهر يتماوج كأنه قطع من لجين ترمقه عيون ذكاء . فأعجبها ذلك المنظر البهج ، وأحبت أن تخوض بذلك النهر إتماما لترويح النفس فى تلك الخلوة ، فنضت عنها الثياب وعامت . ثم أنشدت تقول

أباح الدمع أسرارى بوادى ... له للحسن آثار بوادى
فمن نهر يطوف بكل أرض ... ومن روض يروق بكل وادى
ومن بين الظباء مهاة أنس ... سبت لبى وقد ملكت فؤادى
لها لحظ ترقده لأمر ... وذاك الأمر يمنعنى رقادى
إذا سدلت ذوائبها عليها ... رأيت البدر فى أفق السواد
كأن الصبح مات له شقيق ... فمن حزن تسربل بالحداد

أبو الشيص الشاعر

قال أبو الشيص شعراً لطيفا فى حادثة غرام جرت له :

وقف الهوى بى حيث أنت فليس لى ... متأخر عنه ولا متقدمُ
أجد الملامة فى هواك لذيذة ... حبا لذكرك فليلمنى اللوم
أشبهت أعدائى فصرت أحبهم ... إذ كان حظى منك حظى منهم
وأهنتنى فأهنت نفسى عامداً ... ما من يهون عليك ممن يكرم

أسماء ومجيد

كان لسيد بنى بشر ابنة بديعة الجمال لطيفة القد والاعتدال ، يقال لها أسماء فسمعت ذات يوم بذكر فتى شاعر حسن الوجه ، رائق الجمال يقال له مجيد ، فتشوقت إلى لقياه لتسمع كلامه ، وتختبر شعره ونظامه فخرجت يوما مع بنات عمها إلى

غدير قريب منه . فبينما هى بالانتظار إذا بمجيد مقبلا إليها بوجه يفضح البدر ويزهو على النجوم الحسان . فلما رأينه البنات هممن إليه ، وسلمن عليه وقلن له أهلا وسهلا فنحن بانتظارك مع سيدتنا وكانت أسماء تزهو عليهن حسنا وجمالا وقد تمايلت بغصنها الذابل بين أترابها العذارى ، فلاحت كالبدر بين الكواكب فلما رآها عرفها ومال قلبه إليها طوعا لسحر أجفانها وعينيها فسلم عليها وأنشد :

سلام على من جاورونا فأشرقت بهم أرضنا حتى انجلى ليلها عنا
وأهلا ببدر زار من غير موعد ولم يتعب الصب المعنى ولا عنا

فأجابته تقول

يامن تولع قلبه بجمالنا اصبر لعلك فى الهوى تحظى بنا
فلقد علمنا أن حبك صادق وأصاب قلبك ما أصاب فؤادنا

وما زالا يبثان نار الوجد والغرام إلى آخر النهار . ثم افترقا عن بعضهما بقلب كاد أن يفارق الجسد . ولما علم بذلك أعمامه وأقرباه نهوه عن حب تلك الفتاة فلم ينته بل هام فيها أكثر من الأول . وسار كالعادة نحو الغدير عله يرى وجه اسماء . فلما وصل لم يرَ أحداً فهاج منه لاعج الغرام وأنشد يقول

رحل الصبر والغرام أقاما فى فؤاد ما ذاق قط مناما
كنت غراً بحادثات الليالى ليتنى ما عرفت لى أعماما
يا جفونى جودى على فقد أسماء لاسقى الغيث بعدها الأياما
فكأن السنام صار سموماً فى مطاوى قلوبنا أو حساما
هل ترى بات قلبها مثل قلبى هائما يشتكى الضنا والسقاما
ياظباء الصريم قد أصبح اليوم م حلال الغدير عندى حراما
وكذا نبته على جانبيه بات مثلى متيما مستهاما
يشتكى للضنا فينهل دمعا ويروى بهارها والخزاما

وما زال على تلك الحال يأتى فيناجى الخيال فى ذاك الغدير المنفرد . إلى ذات يوم

بينما كان جالساً يفكر فى أسماء أتاه رسول من قبلها يعلمه عن مكانها ، وما هى فيه من العشق والصبابة وأنها قريباً تأتى للغدير لأجل الإقامة فلما علم بذلك الخبر رقص قلبه من الفرح وسار تواً إلى الغدير ، فرآها بانتظاره على مثل نار الغضا . فسلم عليها وأنشد :

أهلا وسهلا ببدر غاب عن نظرى وبدل النوم بالأفكار والسهر
غبتم فاظلمت الدنيا لغيبتكم حتى توهمتها ليلا بلا قمر

فأجابته اسماء تقول :

يا نور عينى وحق البيت والحجر ما غاب شخصك عن قلبى ولا نظرى
ولا وردت غديراً إذ مررت به إلا وجدت خيالا منك بالنهر

فلما سمع كلامها كاد يذوب من الهيام ، ودام معها على حديث وشكوى مدة من الزمان ، ثم اعتذرت رغماً عنها وسارت إلى أهلها . ولما رأى أبو الفتاة علائم الضعف فى وجهها سألها عن السبب فأبت افشائه ، فألح فأطلعته عليه وكان يحبها حباً شديداً ولا يريد إلا راحتها فأرسل اليه فقدم فزوجه بها ودفعها اليه .

القسم الخامس

متفرقات من نوادر العشاق

نصيب وزينب

قال الضحاك بن عثمان الخزامى خرجت آخر الحج فنزلت بخيمة الابواء على امرأة فأعجبنى ما رأيت من حسنها . فتمثلت بقول نصيب .

بزينب ألمم قبل أن يرحل الركب وقل أن تملينا فما ملك القلبُ
وقل فى تجنيها لك الذنب إنما عتابك من عاتبت فيما له ذنب
خليلىّ من كعب ألما هديتما بزينب لا يفقدكما أبداً كعب
وقولا لها ما فى البعاد لدى الهوى بعاد وما فيه لصدع النوى شعب
فمن شاء رام البعدَ أو قال ظالماً لصاحبه ذنب وليس لها ذنب

فلما سمعت هذه الأبيات قالت : يا فتى أتعرف قائل هذا الشعر . قلت نعم ذاك نصيب . قالت نعم هو ذاك . أفتعرف زينب . قلت لا قالت أنا والله زينب قلت لحياك الله . قالت قد خرج نصيب إلى أمير المؤمنين منذ عام أول ووعدنى بالمجىء هذا اليوم ولعلك لا تبرح حتى تراه . فما لبثت أن رأيت من بعيد قادماً يخب به الحصان خباً . فقالت أرى ذاك الفارس إنى أحسبه اياه . ثم أقبل الراكب من جهة الخيمة فاذا هو نصيب . فنزل وسلم علىّ وجلس إلى ناحية وسلم عليها وساءلها وساءلته . فجعل ينشدها من حديث شعره ولطيف نظمه . فقلت فى نفسى عاشقان أطالا التنائى فلا بد لهما من خلوة يرتاحان اليها فقمت إلى راحلتى أشد عليها فقال لى على رسلك أنا معك فجلست حتى نهض ونهضت معه فتسايرنا ساعة ثم التفت إلىّ فقال قلت فى نفسك محبان التقيا بعد طول تناء فلا بد لأحدهما من حاجة إلى صاحبه . قلت

نعم هو ذاك . قال لا ورب الورى ما جلست منها مجلساً قط أقرب من مجلسى الذى رأيت ، ولم يك بيننا غير الشرف والعفاف

ابنة والى مصر وأحد عمال أبيها

قال الحسين بن زيد : ولى بديار مصر وال فوجد على بعض عماله لحبسه وقيده فأشرفت عليه ابنة الوالى فهويته . فكتبت اليه وقد كان نظر اليها

أيها الرامى بعينيـه وفى الطرف الحتوف
أن ترد وصلا فقـد أمكنك الظبي الألوف

فأجابها الفتى

أن تريني زانى العينين فالقلب عفيف
ليس إلا النظر الفاتر والشعر الظريف

فكتبت اليه :

قد أردناك على عشقك إنساناً عفيفا
فتأبيت فلا زلت لقيديك حليفا

فأجابها الفتى :

غير أنى خفت رباً كان بى براً لطيفاً

فذاع الشعر وبلغ الخبر الوالى ، فدعا به فزوجه إياها ودفعها اليه

غورك المجنون واسحق بن ابراهيم

قال اسحق بن ابراهيم رأيت غورك يوما خارجاً من الحمام والصبيان يؤذونه ، فقلت ما خبرك يا أبا محمد . قال قد آذانى هؤلاء الصبيان . أما يكفينى ما أنا فيه من العشق والجنون . قلت ما أظنك مجنوناً . قال بلى والله وبى عشق شديد . قلت هل قلت فى عشقك وجنونك شيئاً . قال نعم وأنشد :

جنون وعشق ذا يروح وذا يغدو فهذا له حد وهـذا له حدّ
هما استوطنا جسمى وقلبي كلاهما فلم يبق لى قلب صحيح ولا جلد

وقد سكنا تحت الحشا وتحالفا   على مهجتي ألا يفارقها الجهد
فأى طبيب يستطيـــع بحيلة   يعالج من دائين ما منهما بد

عزة الميلاء والناسك عند أبي جعفر

بلغ عبد الله بن أبي جعفر خبر جارية بديعة الصوت مع نخاس في المدينة فبعث إليه وابتاعها منه . فجاءه يوما ناسك من المدينة كان يتردد اليه غالباً فسمع الجارية تغني « بانت سعاد وأمسى حبلها انقطعا » فما كاد يسمع صوتها حتى خر مغشياً عليه فأمر ابن جعفر فنضح على وجهه . فلما أفاق قال له أكل هذا بلغ بك عشقها قال وما خفي عليك أكثر . قال أفتعرف لمن هذا الصوت . قال لا . قال هو لعزة الميلاء أوتحب أن تسمعه منها . قال قد رأيت ما نالني حين سمعته من غيرها وأنا لا أعرفها ، فكيف يكون حالي إن سمعته منها وأنا لا أقدر على ملكها . قال أفتعرفها إن رأيتها قال أو أعرف غيرها فأمر بها فخرجت وقال خذها فهي لك والله . فقبل الرجل يديه وقال أنمت عيني وأحييت نفسي وتركتني أعيش بين قومي ورددت إليّ عقلي أيها الأمير .

شهاب الدين وفاطمة ابنة الخشاب

كتب شهاب الدين بن فضل الله قاضي القضاة يوما إلى فاطمة ابنة الخشاب يقول :

هل ينفع المشتاق قرب الدارِ   والوصـــل ممتنع مع الزوارِ
يا نازلين بمهجتي وديارهم   من ناظريّ بمطمح الأنظارَ
هيجتم شجني فعدت إلى الصبا   من بعد ما وخط الشيب عذاري

فأجابته فاطمة بهذين البيتين :

إن كان غركم جمال إزار   فالقبح في تلك المحاسن وارِ
لا تحسبوا أني أماثل شعركم   انى يقاس جداول ببحارَ

فلما بلغا شهاب الدين وجدهما ألفاظاً درية بمعان عبقريه ، فاعتبرها وأجلها وصار يكاتبها مكاتبة العلماء .

ابن دائب وجارية أخته

عشق ابن دائب جارية كانت عند أخته وكان سبب عشقه إياها أنه رآها فى منامه فأصبح مستطاراً عقله ساهياً قلبه . فلم يزل كذلك حيناً لا يزداد إلا حباً ووجداً ، حتى أنكر ذلك أهله وأعلموا عمه عما كان له فسأله عن حاله فلم يقر له بشيء وقال علة أجدها فى جسمى فدعا له أطباء الروم . فعالجوه بضروب من العلاج . فلم يزده علاجهم له إلا شراً ، وامتنع عن الطعام والكلام . فلما رأوا ذلك منه أجمعوا على أن يوكلوا به امرأة فتسقيه الخمر ، حتى يبلغ منه دون السكر فان ذلك يدعوه الى الكلام والكشف عما فى نفسه . فقر رأيهم على ذلك . وأعلموا عمه ما اتفقوا عليه . فبعث اليه بقينة يقال لها حمامة ، ووكل به حاضنة كانت له . فلما أن شرب الفتى غنت الجارية أمامه فأنشأ يقول

دعونى لما بى وانهضوا لكلاءة من الله قد أيقنت أن لست باقياً
وإن قد دنا موتى وحانت منيتى وقد جلبت عينى علىّ الدواهيا
أموت بشوق فى فؤادى مبرح فياويح نفسى من به مثل ما بيا

فسارت القينة والحاضنة إلى عمه فأخبرتاه الخبر فاشتدت له رحمته فتلطف فى دس جارية من جواريه اليه . وكانت ذات أدب وعقل فلم تزل تستخرج ما فى قلبه حتى باح لها بالذى فى نفسه فصارت السفير فيما بينه وبين الجارية . وكثرت ما بينهما الكتب . وعلمت أخته بذلك فانتشر الخبر فوهبتها له ، فبرأ من علته وأقام على أحسن حال

أبو ريحانة وحاملة القربة

قال الأصمعى : مررت بالبصرة بدار الزبير بن العوام ، فاذا أنا بشيخ من ولد الزبير يكنى أبا ريحانة ما عليه إلا شملة تستره فسلمت عليه وجلست اليه أحدثه فبينا أنا كذلك إذ طلعت علينا جاريه حسناء تحمل قربة . فلما نظرها لم يتمالك أن قام اليها ثم قال أيتها الفتاة غنى لى صوتاً . فقالت إن موالىّ أعجلونى قال لا بد من ذلك . قالت : أما والقربة على رأسى فلا . قال وأنا أحملها فأخذ القربة وحملها على

عنقه. واندفعت الجارية فغنت.

فؤادي أسير لا يفك ومهجتي تقضى وأحزاني عليك تطول
ولي مهجة قرحى لطول اشتياقها اليك واجفاني عليك همول
كفى حزناً انى أموت صبابة بدائى وأنصارى عليك قليل
وكنت إذا ما جئت جئت بعلة فأغنيت علاتى فكيف أقول

فطرب الرجل وصرخ صرخة وضرب بالقربة الأرض فشقها. فقامت الجارية تبكى وقالت ما هذا جزائى منك يا أبا ريحانة، أسعفتك بحاجتك وعرضتنى لما اكره من موالىّ قال لا تغتمى فان المصيبة علىّ دخلت دونك، وأخذ بيدها فتبعته إلى سوق، فنزع عنه الشملة مستتراً بيديه وباعها واشترى بثمنها قربة دفعها اليها. فاجتاز به رجل من الطالبية. فلما نظر اليه وإلى حالته عرف قصته فقال يا أبا ريحانة أحسبك من الذين قال الله تعالى فيهم «فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين» فقال لا يا صاحبي ولكنى من الذين قال الله تعالى فيهم «بشر عبادى الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه». فضحك منه العلوى وأمر له بألف درهم وخلعة

عريب واليزيدى

قال اليزيدى خرجنا مع المأمون إلى بلاد الروم فرأيت عريب فى هودج. فلما رأتنى قالت يا يزيدى أنشدنى شعراً. فقلت نعم حتى أسمع فيه لحناً فأنشدتها

ماذا بقلبي من دوام الخفقِ إذا رأيت لمعان البرقِ
من قبل الأردن أو دمشق لأن من أهوى بذاك الأفقَ

فتنفست تنفسا ظننت أن ضلوعها قد تقصفت منه فقلت لها هذا والله تنفس عاشق. فقالت : اسكت يا عاجز أنا عاشق بل أنا معشوقة فى كل ناد، والله لقد نظرت نظرة مريبة فى ذا المجلس

عريب ومحمد بن حامد

وقع بين عريب وبين محمد بن حامد خصام، وكان يجد بها وجداً مفرطا كادا يخرجان

من شرهما إلى القطيعة ، وكان فى قلبها منه كما لها عنده من الحب . فلقيته يوماً فقالت له : كيف قلبك يا محمد . قال أشق والله مما كان وأشد لوعة فقالت : استبدل بديلا. فقال لها : لو كانت البلوى بالخيال لفعلت . فقالت لقد طال إذاً تعبك . فقال : وما يكون أصبر مكرها أما سمعت قول العباس بن الأحنف

تعب يكون مع الرجاء بذى الهوى خير له من راحة فى الياسِ
لولا كرامتكم لما عاتبتكم ولكنتم عندى كبعض الناس

فلما سمعت ذلك ذرفت عيناها واعتذرت وعاتبته واصطلحا وعادا إلى ما كانا عليه من صدق المودة وحسن المعاشرة .

وكتبت عريب يوما إلى ابن عامر تستزيره . فأرسل اليها يقول إنى أخاف على نفسى . فكتبت اليه

إذا كنت تحذر ما تحذرُ وتزعم انك لا تجسر
فمالى أقيم على صبوتى ويوم لقائك لا يقدر

فلما قرأ الرقعة سار اليها من وقته وأرسل اليها يعاتبها فى شىء ، فكتبت اليه تعتذر فلم يقبل . فكتبت اليه هذين البيتين .

تبينت عذرى وما تعذر وابليت جسمى وما تشعرُ
الفت السرور وخليتنى ودمعى من العين لا يفتر

فلما أطلع على البيتين ذرفت عيناهِ ، وسعى اليها مستسمحا ومستجديا عفوه عما وقع منه .

سر عاشقة

قال أحدهم : دعانى فتى من أهل المدينة إلى غادة حسناء . فلما دخلنا عليها إذا هى أحسن الناس وجها وإذا بها انخراط وجه وسهو وسكوت . فجعلنا نبسطها بالمزاح والكلام ويمنعها من ذلك ما تكتمه . فقلت فى نفسى والله آن بها هياما وطائفا من الحب . فاقبلت عليها فقلت : بالله تصدقينى ما الذى بك . فقالت برح الذكر ودوام الفكر وخلو النهار وتشوق إلى من سار والذى يرى ما وصفت لك . فان كنت ذا

أدب صرمت العتب عن ذى الكرب ، واجتهدت فى الطلب لدواء من قد أشرف على العطب كما قال الشاعر

سيوردنى التذكار حوض المهالك فلست لتذكار الحبيب بتارك
أبى الله إلا أن أموت صبابة ولست لما يقضى الاله بمالكَ
كأن بقلبي حين شطت به النوى وخلفنى فرداً صدور النيازك
تقطعت الأخبار بينى وبينه لبعد النوى واستد سبل المسالك

قال فوالله لقد خفت على عقلى أن تسلبه بلفظها الحسن فقلت : جعلنى الله فدائك وهو الذى صيرك إلى ما أرى يستحق هذا منك . فوالله أن الناس لكثير فلو تسليت بغيره فلعل ما بك يسكن أو يخف فقد قال أحدهم :

صبرت على اللذات لما تولت وألزمت نفسى صبرها فاستمرتِ
وما النفس إلا حين يجعلها الفتى فان أطمعت تاقت وإلا تسلتَ

فاقبلت علىّ فقالت : والله لقد رمت ذلك فكنت كما قال قيس بن الملوح .

ولما أبى إلا جماحا فؤاده ولم يسل عن ليلى بمال ولا أهلِ
تسلى بأخرى غيرها فاذا التى تسلى بها تغرى بليلى ولا تسلى

فاسكتتنى والله بتواتر حججها عن محاورتها . وما رأيت كمنطقها ولا كشكلها وأدبها وكمال خلقها .

بشار بن برد ومحبوبته عبدة

بينما كان بشار بن برد فى مجلسه ذات يوم وكان النساء يحضرنه ، إذ سمع كلام إمرأة أشجاه نغمها وحسن ألفاظها . فدعا بغلامه فقال : إنى قد علقت إمرأة فاذا تكلمت فانظر من هى واعرفها ، فاذا انقضى المجلس وانصرف أهله فاتبعها واعلمها إنى لها محب وأنشدها هذه الأبيات وعرّفها إنى قلتها فيها

قالوا بمن لا ترى تهذى فقلت لهم الأذن كالعين توفى القلب ماكانا
ماكنت أول مشغوف بجارية يلقى بلقيانها روحاً وريحانا
يا قوم أذنى بعض الحى عاشقة والأذن تعشق قبل العين أحيانا

فابلغها الغلام الأبيات فهشت لها ، وكانت تزوره مع نسوة يصحبنها فيأكان عنده ويشربن وينصرفن بعد أن يحدثها وينشدها ولا تطمعه فى نفسها فقال فيها

قالت عقيل بن كعب إذ تعلقها ... قلبي فاضحى به من حبها أثرُ
إنى ولم ترها تهذى فقلت لهم ... إن الفؤاد يرى ما لم ير البصر
أصبحت كالحائم الحران مجتنباً ... لم يقض ورداً ولا يرجى له صدر

فصار بعض الأصدقاء يلومونه فى حبها فأنشد يقول :

يزهدنى فى حب عبدة معشر ... قلوبهم فيها مخالفة قلبي
فقلت دعوا قلبي وما اختار وارتضى ... فبالقلب لا بالعين يبصر ذو الحب
فما تبصر العينان فى موضع الهوى ... ولا تسمع الأذنان إلا من القلب
وما الحسن إلا كل حسن دعا الصبا ... والف بين العشق والعاشق الصب

ما سمعه ابن عثام

قال حبيب الواسطى : دخلت يوماً على بن عثام فوجدته باكياً حزينا ذاهب النفس . فانكرت ذلك وسألته عما دهاه . فقال : أعلم إنى مررت بالخريبة فرأيت مجنونا مصفداً فى الحديد يتمرغ فى التراب ويقول

ألا ليت أن الحب يعشق مرة ... فيعرف ماذا كان بالناس يصنعُ
يقولون فز بالصبر إنك هالك ... وللصبر منى أن أحاوله أجزع

غورك المجنون

قال أبو بكر محمد بن فرحان لقيت غورك المجنون وفى عنقه حبل قصير والصبيان يقودونه . فقال لى : يا أبا بكر بم يعذب الله أهل جهنم . قلت بأشد العذاب . قال : صف لى . قلت : ومن يصف عذاب رب العالمين قال : أنا فى أشد من عذابه . ثم رفع ثوبه فاذا هو ناحل الجسم دقيق العظم فقال لى :

أنظر إلى ما فعـــل الحب لم يبق لى جسم ولا قلبُ
انحل جسمى حب من لم يزل من شأنها الهجران والعتب
ما كان اغنانى عن حب من من دونها الاستار والحجب

أبو الأسدى والشاب

قال أبو الأسدى : دخلت دير هرقل فوجدت شاباً حسن الهيئة مكبلا بالحديد فسألته عن أمره . فأنشد :

نظرت اليهـــا فاستحلت بنظرتى دمى ودمى غال فأرخصه الحبُّ
وغاليت فى حبي لهـا ورأت دمى رخيصاً فمن هذين داخلها العجب

أبو غصن الاعرابى وذات الوجه الصقيل

قال أبو الغصن الاعرابى : خرجت حاجاً فلما مررت بقباء سمعت قوما ينادون : الصقيل الصقيل . فنظرت فاذا جارية كأن وجهها سيف صقيل . فلما رميناها بالحدق ألقت البرقع عن وجهها وتبسمت . فوالله ما رأيت أحسن منها . ثم أنشأت تقول :

وكنت إذا أرسلت طرفك رائداً لقلبك يوماً اتعبتـــك المنـاظرُ
رأيت الذى لا كلـــه أنت قادر عليه ولا عن بعضه اليومَ صابر

ابن أبى داود والجارية

قال سلم بن ربيع : اعترض ابن أبى داود جارية فأعجبته فقال

ماذا تقولين فى من شـــفه سقم من طول حبك حتى صار حيرانا

فأجابته :

إذا رأينـا محباً قـــد اضرّ به جهد الصبابة أولينـاه احسـانا

الحارث بن زهير ولبنى

خرج ذات يوم الحارث بن زهير مع خلان له إلى الصيد والقنص ، فأوسع بهم فى عرض الفلاة حتى وصلوا إلى اليعمودية ، فلاحت له غزالة فى ذلك البر. فجد فى أثرها ، فانتهى به المسير إلى غدير كبير على شاطئه جماعة من البنات الحسان ، وبينهن جارية بديعة الجمال كأنها الهلال ، جمعت بين لطافة القد وحسن الجيد والاعتدال ، وكانت تدعى لبنى بنت المعتمد فلما رآها الحارث غلب عليه العشق والجوى واستولى عليه سلطان الهوى وكانت الغزالة قد دخلت بين البنات ، فانثنى نحوهن وسلم ثم قال بصوت لطيف : دعى صيدى يا بنت الكرام حتى آخذه وأذهب فقالت له خلى عنه أيها الشاب فقد استجار بنا وأعطيناه عهدنا وزمامنا . وكانت لبنى تتكلم بقلب يخفق غراما وصوت يتقطع لوعة وهياماً ثم قالت له : ما اسمك الكريم . قال : الحارث ابن زهير سيد بنى عبس. فقالت : نعم الفتى. وبعد ساعة من الزمان ودعهن وسار وقد اشتعل فؤاده من فرط الحب بلهيب النار. ولما زاد به الشوق باح لسانه بالشعر فأنشد:

سلامى على الوادى ومن حل دونه ... فقد حملونى فوق ما أنا حامله
مررت به أبغى من الصيد ظبية ... فعدت وقد صادت فؤادى حبائله
وأبقيت قلبى عند سكان أرضه ... وجسمى على نار الهوى ومراجله
فان يكُ جسمى قد مضى نحو أهله ... فان فؤادى عندكم وبلابله

وما زال يقطع البيداء حتى وصل البيت مساء . فبات ليله ارقاً بين السهاد وتباريح الغرام. ولما أصبح الصباح أخبر خادمته بما جرى وما أصبح فيه من قاتل الحب ، ووكل اليها تدبير الأمر ، فقالت سمعاً وطاعة وذهبت إلى احيائها فسألت عنها فدلوها عليها فلما رأتها هدأ بالها ، وحدثتها سراً بحديث الحارث وما هو فيه من الحب والغرام . فلما سمعت لبنى كلامها أعلمتها بوجدها وغرامها وقالت لها إن رأيت أن تجمعينى به الليلة على شاطىء الغدير . فقالت : حباً وكرامة وذهبت فأعلمت الحارث ، فكاد يطير من الفرح ولما أمسى المساء سار من فوره إلى الغدير ، فلما رآها زاد حبه وهاجت أشجانه فأنشد

أصبحت يالبنى أسير هواك والقلب يخفق والمتيم باك
قد بت أسهى من هواك ساهراً ارعى النجوم مراقب الأفلاك
أصبحت يا لبنى نحيلا مغرما من فرط حبك فأمنني بلقاك
لولاك يا لبنى لما أمسى الهوى بي حاكما متصرفاً لولاك
فارعى عهودى واحفظى شرع الهوى وتيقنى أنى قتيل هواك
منى السلام عليك يا شمس الضحى فلقد رمانى الحب بالاشراك
وابقى ودومى واسلمى وتعطفى وارعى العهود فمهجتى ترعاك

فما زالا بين شكوى ونجوى إلى أن أصبح الصباح فافترقا متعاهدين على الحب والولاء. وداما على هذه الحال من الإجتماع وبث الأشواق فى ذاك المكان إلى ذات يوم ذهب الحارث فلم ير أحداً ، فذهل غاية الإنذهال وارتاب فى أمر لبنى ، فسأل عن السبب فقيل له إنهم ساروا إلى بلدة قريبة فأرسل يسأل عنها ليعلم ما عندها وما يكنه فؤادها . فكتبت له : إن ذلك ما كان إلا رغماً عنها وإنها قريباً تعود اليه فلما بلغ الحارث ذاك الكتاب وقرأ ما به هدأ باله وصار ينتظر لقاء الحبيب . فلما اجتمعت به لبنى خفق فؤادها وتنهدت وباحت بما عندها فأنشدت :

لو علمنا بمجيئكم لفرشنا مهج القلب مع سواد العيون
وبسطنا خدودنا للقاكم ليكون المسير فوق الجفون

وداما على هذا الحب إلى آخر حياتهما

ذو الرمة وعصمت بن عبد الملك

قال عصمت بن عبد الملك: ركبت مع ذى الرمة وسرنا حتى أشرفنا على بيوت الحى، وإذا ببيت مية ناحية، فعزمت ذا الرمة فعرض النساء إلى مية. وجئنا فدنونا وسلمنا ثم قعدنا نتحدث ، فإذا هى جارية أملود واردة الشعر بيضاء يغمرها صفوة وعليها ثوب أصفر وطاق أخصر . فقلن أنشدن ياذا الرمة فقال أنشدهن يا عصمة فأنشدتهن :

نظرت إلى اظعـــان مى كأنها ذرى النخل أوائل تميـل ذوائبه
فأعربت العينان والصـدر كاتم بمخرورق نمت عليه سواكبه
بكى وامق حال الفراق ولم يحل حوائلها أسرارها ومعائبـــه

فقالت ظريفة منهن لكن الآن فليحل . فنظرت إلىّ مية متكرهة . ثم مضيت فى القصيدة حتى انتهيت إلى قوله :

إذا سرحت من حب مى سوارح على القلب وافته جميعاً غرائبه

فقالت الظريفة : قتلته قاتلك الله قالت مية ما اصحه وهنيئاً له فتنفس ذو الرمة تنفساً ظننت معه أن فؤاده قد انصدع ومضيت فيها حتى انتهيت إلى قوله :

وقـــد جلفت بالله مية ما الذى أقول لهـــا إلا الذى أنا كاذبه
إذاً فرمانى الله من حيث لا أرى ولا أزال فى أرضى عدو احاربه

فالتفتت اليه فقالت: خف عواقب الله. ومضيت فى القصيدة حتى انتهيت إلى قوله:

إذا راجعتك القـــول مية أو بدا لك الوجه منها أو نضا الثوب سالبه
فيـــالك من خدّ أثيل ومنطق رخيم ومن خلق تعلـــل جاذبه

فقالت الظريفة أما هذه فقد راجعتك وقد بدا لك الوجه منها ، فمن لك بأن ينصف الدرع سالبه . فالتفتت مية اليها فقالت : قاتلك الله ما أنكر ما تجيبين به . ثم تحدثن ساعة فقالت الظريفة للنساء : إن لهذين شأناً . ثم سارت بنا ، فلما وصلنا الأبيات ، دخلت بذى الرمة فلبثت أنتظر ، فإذا به قادماً ومعه قلائد لطيفة حلى بها نصل سيفه . فسألته عنها . فقال هى منها والله .

أبو عثيرة الخياط وأبو محمد الدمشقى

قال أبو محمد الدمشقى مررت ذات ليلة أيام فتنة المستعين ، والقمر يزهر بأحياء الشام ، فاذا أنا بشيخ جليل موشح فى أزار أحمر فقلت له : ما اسمك الكريم . قال : أبو عثيرة الخياط ، شهدت حروب ابن زبيدة كلها وحاربت الفتيان فى غاية كل ميدان واعترف لى كل فاتك وأذعن لى كل شاطر ، ونزلت تلك الدار عشرين سنة وأومأ إلى سجن بغداد . ثم تنفس الصعداء وأنشد

لى فؤاد مستهام وجفون لا تنامُ
ودموع آخر الدهر م على عينى سجام
وحبيب كلما خاطبته م قال سلام
فاذا ما قلت زرنى قال لى ذاك حرام

ثم بكى . فلما أفاق قلت ما يبكيك قال وكيف لا أبكى ولى حبيب بالبصرة علقته وهو ابن سبع عشرة سنة . ثم غبت عنه ثلاثاً وثلاثين سنة فلما عيل صبرى خرجت إلى البصرة فطفت فى شوارعها حتى رأيته فما رأيت وجها أحسن منظراً ولا أزهى منه ثم أنشأ يقول :

مردد فى كمده معذب فى سهده
خلا به السقم فما اسرعه فى جسده
يرحمه لما بدا من ضره ذو حسده

ثم ودعنى ومضى

أبو الفضل والجارية

قال أبو الفضل : بينما كنت بالطواف أمام الحجر إذ سمعت حنينا يخرج من بين الأستار وقائلا يقول :

عفا الله عمن يحفظ الود جهده ولا كان عهد الله للناقض العهد
وضعت على الأستار خدى ليلة ليجمعنى مع من وضعت له خدى

فرفعت الأستار فاذا جارية منفردة كأنها الشمس تجلت عنها غمامة فقلت : يا هذه لو سألت الله الجنة مع هذا التصدع والبكاء ما حرمك إياها فسترت وجهها وقالت : سبحان من خلق فسوى ولم يهتك الولاية والنجوى . أما والله إنى فقيرة إلى رحمة ربى ، وقد سألته أكبر الأمرين عندى رجاء فضله واتكالا على عفوه . ثم ولت عنى فعجبت من فصيح منطقها .

مسلم بن جندب وجارية

قال مسلم بن جندب : خرجت مع صديق لى الى العقيق ، فلقينا نسوة نازلات من العقيق لهنّ جمال وشارة وفيهنّ جارية خضابية العينين . فلما رآها صديقى قال لى : يا ابن الكرام دم أبيك والله فى ثيابها ، فلا تطلب أثراً بعد عين ، وأنشد قول أبى مسلم بن جندب :

ألا يا عباد الله هـــذا أخوكم قتيل فهل منكم له اليوم ثائرُ
خذوا بدمى إن مت كل مليحة مريضة جفن العين والطرف ساحر

فقالت لى الجارية أنت ابن جندب . قلت نعم . قالت فاغتنم نفسك واحتسب أباك فان قتيلنا لايودى وأسيرنا لا يفدى

أبو المهلهل الخزامى ومى

قال أبو مهلهل الخزامى : ارتحلت الى الدهناء فسألت عن مى صاحبة ذى الرمة ، فدفعت إلى خيمة فيها عجوز هيفاء فسلمت عليها وقلت أين منزل مى . قالت ها أنا مى . فقلت : عجباً من ذى الرمة وكثرة قوله فيك . قالت لا تعجب فإنى سأقوم بعذره . ثم نادت فخرجت من الخيمة جارية ناهدة عليها برقع . فقالت لها أسفرى فلما أسفرت تحيرت لما رأيت من حسنها وجمالها . فقالت علقنى ذو الرمة وأنا فى سن هذه وكل جديد إلى البلاء ، قلت عذرته والله وانصرفت

بكر ابن النطاح والفتاة

قال بكر بن النطاح فى غادة حسناء الفت الصد والهجران

ما ضرها لو كتبت بالرضى بجف جفن العين أو أغمضا
شـــفاعة مردودة عندها فى عاشق يندم لو قد قضى
يا نفس صبراً فاعلمى أنهـــا تأمل منهـــا مثل ما قد مضى
لم تمرض الأجفان من قاتلى بلحظة إلا لأن أمرضا

ابن الجوزى وزوجته

كان لابن الجوزى زوجة تسمى نسيم الصبا وكان يحبها حبا شديداً . فاتفق أن طلقها فحصل له قلق وهيام كاد يشرف به على التلف . فحضرت فى بعض الأيام مجلسا كان فيه فسر بها واستبشر . فحدث أن جاءت امرأتان وجلستا أمامه فحالتا بينه وبينها فأنشد

أيا جبلى نعمان بالله خليا نسيم الصبا يخلص إلىّ نسيمها

أنس الوجود ومحبوبته ورد

حكى أنه كان لأحد الوزراء ابنة بديعة فى الحسن والجمال فائقة فى البهجة والكمال ذات عقل وافر وأدب كامل . وكانت تهوى المنادمة وسماع دقائق الأشعار لرقة فؤادها ولطف أخلاقها وظرفها . فبينما كانت يوما تنظر من شباك قصرها وقع نظرها على شاب نير الوجه ضاحك السن بهى الطلعة حسن الشمائل . فوقع حبه فى قلبها وعدمت صبرها فى هواه ، فرمته للحال بتفاحة كانت فى يدها . فرفع رأسه فرآها فى شباك القصر كأنها البدر ، فلم يرنو اليها إلا وهو بعشقها مشغول الخاطر .

فلما بعد عن القصر سألت جاريتها عن اسمه وكانت تعرفه فقالت لها أن اسمه أنس الوجود وأنها تعرف مكانه . فكتبت له رقعة شرحت فيها حالها وما عراها من حبه وغرامه . فأخذت الجارية الرقعة وسارت بها اليه فأعطتها له فلما قرأها كتب فى أسفلها هذه الأبيات

أعلل قلبى فى الغرام وأكتم ولكن حالى عن هواى يترجمُ
فلو فاض دمعى قلت جرح بمقلتى لئلا يرى حالى العزول فيفهم
وكنت خلياً لست أعرف ماالهوى فأصبحت صباً والفؤاد متيم
رفعت إليكم قصتى أشتكى بها غرامى ووجدى كى ترقوا وترحموا
وسطرتها من دمع عينى لعلها بما حل بى منكم اليكم تترجم
رعى الله وجها بالجمال مبرقعا له البدر عبد والكواكب تخدم
على حسن ذات ما رأيت مثيلها ومن ميلها الأغصان عطفا تعلم

واسألكم من غير حمل مشقة زيارتنا أن الوصال معظم
وهبت لكم روحى عسى تقبلونها فلى الوصل منّ والصدود جهنم

فأخذت الجارية الكتاب وأعطته إلى سيدتها . فلما قرأت ذاك الكتاب هاج منها الوجد والغرام وكتبت له تقول :

يا من تعلق قلبه بجمالنا أصبر لعلك فى الهوى تحظى بنا
لما علمنا أن حبك صادق وأصاب قلبك ما أصاب فؤادنا
زدناك فوق الوصل وصلا مثله لكن منع الوصل من حجابنا
وإذا تجلى الليل من فرط الهوى تتوقد النيران فى أحشائنا
وجفت مضاجعنا الجنوب وربما قد برح التبريح فى أجسامنا
الفرض فى شرع الهوى كتم الهوى لا ترفعوا المسبول من استارنا

فلما فرغت من شعرها طوت الكتاب وأعطته إلى الخادمة فأخذته وخرجت من عندها . فصادفها الحاجب وقال لها أين تذهبين . فقالت : إلى الحمام وقد انزعجت منه ، فوقعت منها الورقة دون انتباه . فبينما كان بعض الخدم يمشى من تلك الجهة وقع نظره على الورقة ،فأخذها وقدمها إلى الوزير ،فلما قرأها وفهم فحواها هاج منه الغيظ والغضب ، وجاء إلى بنته ورد لائماً منددا .ثم أمر بعض الخدم بابعادها وأخذ مكان لها يكون بعيداً فى البرية . فلما علمت بذلك زاد منها القلق ، وكتبت قبل ذهابها هذه الأبيات على باب حجرتها

بالله يا دار إن مرّ الحبيب ضحى مسلماً باشارات يحيينا
أهديه منا سلاماً زاكياً عطراً لأنه ليس يدرى أين أمسينا
ولست أدرى إلى أين الرحيل بنا لما مضوا بى سريعاً مستخفينا
فى جنح ليل وطير الايك قد عكفت على الغصون تباكينا وتنعينا
وقال عنها لسان الحال واحربا من التفرق ما بين المحبينا
لما رأيت كؤوس البعد قد ملئت والدهر من صرفها بالقهر يسقينا
مزجتها بجميل الصبر معتذراً وعنكم الآن ليس الصبر يسلينا

فلما فرغت من شعرها ركبت وساروا بها يقطعون القفار حتى وصلوا إلى مكان منفرد أمام شاطىء نهر ، فنصبوا لها خيمة هناك ووكلوا بها بعض الخدم . فلما أظلم الظلام تذكرت حالها وكيف فارقت أطلال الحبيب ،فسكبت العبرات وأنشدت تقول :

جن الظلام وهاج الوجد بالسقم والشوق حرك ما عندى من الألم
ولوعة البين فى الأحشاء قد سكنت والفكر صيرنى فى حالة العدم
والوجد أقلقنى والشوق أحرقنى والدمع باح بسر غير مكتتم
وليس لى حالة فى العشق أعرفها من رق عودى ومن سقمى ومن ألمى
جحيم قلبى من النيران قد سعرت ومن لظى حرها الأكباد فى نقم
ما كنت أملك نفسى أن أودعهم يوم الفراق فيا قهرى ويا ندمى
يا من يبلغهم ما حل بى وكفى إنى صبرت على ما خط بالقلم
أقسمت لا حلت عنهم فى الهوى أبداً يمين شرع الهوى مبرورة القسم
ياليل سلم على الأحباب مخبرهم واشهـــد بعلمك إنى فيك لم أنم

أما أنس الوجود فانه بعد كتابة الأبيات وإرسالها إلى محبوبته ورد ،صبر إلى ثانى الأيام فقام وقصد أبياتها . فسأل عنها الخادمة فاعلمته بالخبر ،وأطلعته على ما كتبت من أبيات على الباب . فلما قرأ تلك الأبيات زاد منه الوجد والقلق وسار فى عرض القفار لا يرتاح إلى سمير ولا يلذ له كلام . إلى أن رأى رجلا أهداه إلى مكانها ، فبينما هو سائر إلى حبيبته وقع نظره على حمام من الايك ، فهاج منه لاعج الغرام وأنشد :

يا حمام الايك أقريك السلام يا أخا العشاق من أهل الغرام
إننى أهوى غزالا أهيفاً لحظه أقطع من حد الحســـام
فى الهوى أحرق قلبى والحشا وعلا جسمى نحول وسقام
ولذيذ الزاد قد حرّمتـــه مثل ما حرمت من طيب المنام
واصطبارى وسلوى رحلا والهوى بالوجد عندى قد أقام
كيف يهنا العيش لى من بعدهم وهم روحى وقصدى والمرام

أما حبيبته ورد فانها بينما كانت تخطر حول خيامها إذ رأت موكبا حافلا من بعد

فدنت منه فاذا فى وسطه أمير خطير ، فلما وقع نظره عليها عجب من رائق جمالها وهاله ما رأى فيها من شدة الضعف والهزال ،فسألها عن حالها وما ألمّ بها . فاعلمته القصةعلى التمام وما جرى لها أولا وآخراً . فرق لها قلبه وبعث فاسترضى أباها وأرسل من يأتى بأنس الوجود فما مضى إلا القليل حتى صادفوه قريباً من خيام محبوبته . فلما جاؤا به مالت اليه كغصن البان ، فضمها إلى صدره وأنشد :

ما أحيـلاها ليبلات الوفا حيث أمسى لى حبيبى منصفا
نصب السعد لنا أعلامـه وشربنا منه كأساً قد صفا
واجتمعنا وتشاكينا الأسى ولييـلات تقضت بالجفا
ونسينا ما مضى يا سادتى وعفا الرحمن عما سلفا

وعاشا معا فى ألذ عيش وأهنأ بال .

دعبل الخزاعى والجارية

قال دعبل الخزاعى : كنت جالسا بباب الكوخ إذ مرت بى جارية لم أرَ أحسن منها ولا أعدل قداً ، وهى تنثنى فى مشيتها وتسبى الناظرين بتثنيها فلما وقع بصرى عليها افتتنت بها وارتجف فؤادي وآنست من قلبي ارتحالا، فانشدت معرضا بهذا البيت

دموع عينى بها انقضاض ونوم جفنى به إنقباض

فنظرت إلىّ واستدارت بوجهها وأجابتنى بسرعة بهذا البيت .

وذا قليـل لمن دعتـــه بلحظها الأعـين المراضُ

فادهشتنى بسرعة جوابها وحسن منطقها ، فانشدتها ثانيا هذا البيت :

فهل لمولاتى عطف قلبٍ على الذى دمعـه مفاضُ

فاجابتنى بسرعة من غير توقف بهذا البيت :

إن كنت تهوى الوداد منا فالودّ ما بيننا قراضُ

فما دخل أذنى قط أحـلى من كلامها ولا رأيت أبهج من وجهها ، فعدلت بالشعر عن القافية امتحانا لها وعجبا بكلامها . فقلت لها هذا البيت :

أترى الزمان يسرنا بتلاق ويضم مشتاقاً إلى مشتاق

فتبسمت فما رأيت أحسن من فيها ولا أحلى من ثغرها ، وأجابتني بسرعة من غير توقف بهذا البيت

ما للزمان وللتحكم بيننا أنت الزمان فسرنا بتلاق

بدور بنت الجوهرى وجبير الشيبانى

قال على بن منصور الخليعى بينما كنت سائراً فى البصرة إذا بباب كبير له حلقتان من النحاس ، فوقفت أتفرج على هذا المكان فبينما أنا واقف إذ سمعت صوت أنين ناشىء عن قلب حزين،فرفعت الستر قليلا قليلا وإذا أنا بجارية بيضاء كأنها البدر إذا بدر فى ليلة أربعة عشر بحاجبين مقرونين وجفنين ناعسين وشفتين رقيقتين وفم كأنه خاتم سليمان ، وقد حازت أنواع الجمال بما يفتن النساء والرجال . فلما رأتنى ناظراً اليها من خلال الستارة مالت إلى جارية لها وقالت : أنظرى من بالباب . فقامت الجارية وأتت إلىّ وقالت ما سبب وقوفك هنا . قلت : عطش ألم بى فامرت سيدتها فجاءت بكوز من الماء فجعلت أشرب وأطيل فى شربى وأنا أسارق النظر اليها حتى طال وقوفى . ثم رددت اليها الكوز ودمت صامتاً لا أتكلم . فقالت سيدتها وما سبب هذا الوقوف قلت إننى أفكر بصاحب هذا الدار كيف تقلبت عليه الأيام ،وقد كان ذا مال جزيل فهل خلف أولاداً . قالت نعم خلف بنتاً يقال لها بدور وقد ورثت جميع أمواله فقلت لها كأنك ابنته . قالت نعم . قلت فإنى أرى تغيراً فى وجهك فاخبرينى بسببه فقالت : إن كنت من أهل الأسرار كشفنا لك سرنا فاخبرنى ما هو اسمك فقلت لها : أنا على بن منصور الخليعى نديم أمير المؤمنين هرون الرشيد . فلما سمعت باسمى نزلت من على كرسيها وسلمت علىّ وقالت مرحباً بك يا ابن منصور الآن أخبرك بحالى واستأمنك على سرى أنا عاشقة مفارقة . فقلت لها يا سيدتى أنت مليحة وما تعشقين إلا كل مليح فمن الذى تعشقينه . قالت : أعشق جبير بن عمير الشيبانى أمير بنى شيبان، وقد وصفت لى شاباً لم يكن بالبصرة أحسن منه . فقلت لها : يا سيدتى هل جرى

بينكما مواصلة أو مراسلة قالت : نعم . إلا أنه عشقنا باللسان لا بالقلب والجنان. فقلت لها يا سيدتى وما سبب الفراق بينكما قالت سببه إنى كنت يوما جالسة وجاريتى هذه تسرح شعرى ، فلما فرغت جدلت ذوائبى فأعجبها حسنى وجمالى فطأطأت علىّ وقبلت خدّى وكان فى ذلك الوقت داخلا على غفلة، فرأى ذلك وعاد من وقته مغضباً عازما على دوام البين وأنشد هذين البيتين :

إذا كان لى فيمن أحب مشــــارك ... تركت الذى أهوى وعشت وحيداً
فلا خير فى المعشوق إن كان فى الهوى ... لغــــير الذى يرضى المحب مريداً

ومن حين ولى معرضاً إلى الآن لم يأتنا منه كتاب يا ابن منصور فقلت ، لهـا فما تريدين . قالت أريد أن أرسل اليه معك كتاباً فقلت لها افعلى ما بدا لك فكتبت اليه هذه الأبيات

حبيبى ما هذا التباعد والقــــلى ... فأين التغاضى بيننـا والتعطفُ
وما لك بالهجـــــران عنى معرضا ... فما وجهك الوجه الذى كنت أعرف
نعم نقل الواشـــــون عنى باطلا ... فملت لمـا قالوا فزادوا واسرفوا
فان تك قـــــد صدقتهم فى حديثهم ... فحاشاك من هذا ورأيك أعرف
بعيشك قل لى ما الذى قد سمعته ... فإنك تدرى ما يقــــال وتنصف
فإن كان قــــولا صح أنى قلته ... فللقول تأويل وللقـول أحرف
وهب أنه قـــــول من الله منزل ... فقـد بدّل التوراة قوم وحرّفوا
وبالزور كم قد قيل فى الناس قبلنا ... فها عنـد يعقوب تلوّم يوسف
وها أنا والواشى وأنت جميعنـا ... يكون لنـــــا يوم عظيم وموقف

ثم ختمت الكتاب وناولتنى إياه فأخذته ومضيت إلى دار جبير الشيبانى فوجدته فى الصيد ،فجلست أنتظره، فبينما أنا جالس، وإذا به قد أقبل من الصيد.فلما رأيته على فرسه ذهل عقلى من حسنه وجماله ، فالتفت فرآنى جالساً بباب داره فنزل عن جواده وعانقنى وسلم علىّ، ثم دخل بى إلى داره وسألنى عن حاجتى . فأخرجت اليه الكتاب. فلما قرأ ما فيه مزقه ورماه على الأرض وقال لى : يا ابن منصور مهما كان لك من

الحوائج قضيناها إلا هذه الحاجة التي أتيت من أجلها ، فذهبت حزيناً إلى كاتبة السطور وأعلمتها بما جرى أولا وآخراً فزاد منها الحزن والقلق ورفعت طرفها إلى السماء وقالت يا إلهي كما أبليتني بمحبة جبير بن عمير تبليه بمحبتي وتنقل إليه ما يلقاه فؤادي ثم اني عدت إلى حبيبها جبير فوجدت داره قد تهدمت بأسرها ، ولم أجد على بابه غلاما فظننته مات فحزنت عليه وبينما أنا أبكي إذا بعبد أسود خرج إليّ من الدار وسألني عن هذا البكاء فقلت له السبب . فقال إن الذي ذكرته حي بحمد الله ، ولكنه قد بلي بحب غادة حسناء تدعى بدور وهو من أجلها كطيف الخيال فقلت استأذن لي عليه فدخل الدار مستأذناً ثم عاد إليّ آذناً فدخلت عليه فوجدته كالحجر الطريح ، فناديت مراراً حتى انتبه فقال لي : مرحبا يا أبا منصور . فقلت له يا سيدي ألك بي حاجة قال نعم أريد أن أكتب لها ورقة وأرسلها معك إليها ثم كتب هذه الأبيات :

سألتكم بالله يا سادتي مهلا   علىّ فان الحب لم يبقِ لي عقلا
تمكن مني حبكم وهواكم   فالبسني سقما وأورثني ذلا
لقد كنت قبل اليوم استصغر الهوى   وأحسبه يا سادتي هينا سهلا
فلما أراني الحب أمواج بحره   رجعت لحكم الله اعذر من يبلى
فان شئتم أن ترحموني بوصلكم   وإن شئتم قتلى فلا تنسوا الفضلا

فأخذت الكتاب ومضيت به إلى دار السيدة بدور ، فلما رأتني سلمت عليّ وأخذت الكتاب فاطلعت عليه ثم تغرغرت عيناها بالدموع وكتبت اليه هذه الأبيات

إلى كم ذا الدلال وذا التجني   شفيت وحقك الحساد مني
لعلي قد أسأت ولست أدري   فقل لي ما الذي بلغت عني
مرادي لو وضعتك يا حبيبي   مكان النوم من عيني وجفني
شربت كؤوس حبك مترعات   فان ترني سكرت فلا تلمني

فأخذت منها تلك الأبيات وقلت لها يا سيدتي انها لرقعة تداوي العليل وتشفي الغليل . ثم أخذت الكتاب وخرجت فنادتني بعد الخروج وقالت لي يا ابن

منصور قل له انها فى هذه الليلة ضيفتك . ففرحت أنا بذلك فرحا شديداً ومضيت بالكتاب إلى جبير بن عمير . فلما دخلت عليه وجدت عينه شاخصة إلى الباب ينتظر الجواب . فلما ناولته الورقة فتحها وقرأها وفهم معناها فصاح صيحة عظيمة ووقع مغشيا عليه . فلما أفاق قال يا ابن منصور هل كتبت هـــذه الرقعة بيدها ولمستها بأناملها قلت يا سيدى وهل يكتب الناس بغير الأنامل . فما كدت أتم الكلام إلا وقد سمعنا لها وقع أقدام فى الدهليز . فقام على أقدامه كمن لم يكن به ألم قط واعتنقا معا مدة طويلة وعادا إلى سابق الوداد .

الوزير والجارية

رأى وزير من الوزراء جارية حسناء تخطر فى خفيف الثياب ، فهاج منه لاعج الغرام وأنشد :

تبدت فهذا البدر من كلف بها وحقك مثلى فى دجى الليل حائرُ
وماست فشق الغصن غيظا ثيابه ألست ترى أوراقه تتناثر

فسمعه أحد الأدباء فقال

وفاحت فألقى العود فى النار نفسه كذا نقلت عنه الحديث المجامرُ
وقالت فغار الدر واصفر لونه كذلك ما زالت تغار الضرائر

القسم السادس

فى مصارع العشاق

المبرّد وأصحابه والمجنون

قال المبرد : خرجت أنا وجماعة من أصحابى مع المأمون ، فلما قربنا من نحو الرقة فاذا نحن بدير كبير فأقبل إلىّ بعض أصحابى فقال : مل بنا إلى هذا الدير ننظر من فيه ونحمد البارى على ما رزقنا من السلامة فلما دخلنا إلى الدير رأينا مجانين مغلولين وهم فى نهاية القذارة فاذا منهم شاب عليه بقية ثياب ناعمة فلما بصر بنا قال من أين أنتم يا فتيان حياكم الله . فقلنا نحن من العراق . فقال : يا أهل العراق أنشدونى بالله أو أنشدكم . فقال المبرد والله ان الشعر من هــذا لطريف فقلنا انشدنا فانشأ يقول :

الله يعـــلم انى كمد ... لا أستطيع أبث ما أجدُ
روحان لى روح تضمنهـا ... بلد وأخرى حازها بلد
وأرى المقيمة ليس ينفعها ... صبر ولا يقوى بهـا جلد
وأظن غائبتى كشاهدتى ... بمكانهـا تجد الذى أجد

قال المبرد ان هذا لطريف والله زدنا فأنشأ يقول :

لمـا أناخوا قبيل الصبح عـيرهم ... ورحلوها فسارت بالهوى الابلُ
وأبرزت من خلال السجف ناظرها ... ترنو إلىّ ودمع العين منهمل
وودعت ببنان عقــدها عنم ... ناديت لا حملت رجـلاك يا جمل

ويلى من البين ماذا حل بى وبها … من نازل البين حان الحين وارتحلوا
ياراحل العيس عجل كى نودعها … ياراحل العيس فى ترحالك الأجل
إنى على العهد لم أنقض مودتهم … فليت شعرى لطول العهد ما فعلوا

فقال رجل من البغضاء الذين معى : ماتوا قال : إذاً فأموت فقال له إن شئت . فتمطى واستند إلى السارية التى كان مشدوداً فيها فما برحنا حتى دفناه

الأصمعى وأحـــد العشاق

قال الأصمعى بينما كنت سائراً فى البادية مررت بحجر مكتوب عليه هذا البيت.

أيا معشر العشاق بالله خبروا … إذا حل عشق بالفتى كيف يصنعُ

فكتبت تحته

يدارى هـواه ثم يكتم سره … ويخشع فى كل الأمور ويخضع

ثم عدت فى اليوم الثانى فوجدت مكتوباً تحته

فكيف يدارى والهوى قاتل الفتى … وفى كل يوم قلبـــه يتقطع

فكتبت تحته

إذا لم يجد صبراً لكتمان سره … فليس له شىء سوى الموت أنفع

ثم عدت فى اليوم الثالث فوجدت شاباً ملقى تحت ذلك الحجر ميتاً وقد كتب قبل موته :

سمعنا أطعنا ثم متنـــا فبلغوا … سلامى إلى من كان للوصل يمنع

موت الفتـــاة بموت حبيبها

قال الأصمعى : بينما كنت نائماً بقرب مقابر البصرة رأيت فتاة على قبر تندب وتقول

بروحى فتى أوفى البرية كلها … وأقواهم فى الحب صبراً على الحب

فقلت : أيتها الفتاة بمَ كان أوفى البرية وبمَ كان أقواها . فقالت يا هذا إنه ابن

عمى هويتى فهويته،فكان ان باح عنفوه وان كتم لاموه،فأنشد بيتين من الشعر وما زال يكررهما إلى أن مات فوالله لأندبنه إلى أن أصير مثله فى قبر إلى جانبه فقلت لها : أيتها الفتاة فما البيتان . فقالت

يقولون لى ان بحت قد غرك الهوى وان لم أبح بالحب قالوا تصبرا
فما لامرىء يهوى ويكتم أمره من الحب إلا أن يموت فيعذرا

ثم إنها شهقت شهقة فارقت روحها الدنيا ، فأسفت عليها ودفنتها قرب حبيبها

الحرث وعفراء بنت الأحمر

نشأ الحرث بن الفرند مع إبنة عمه عفراء بنت الأحمر الخزاعية ممتزجين بالألفة والوداد إلى أن بلغا سن الرشد . فتزوج بها وأقام معها مدة ينمو الهوى فى قلبيهما . فعزمت يوما على زيارة أبيها فجهزها إليه فأقامت مدة وكل من أبويهما يأبى أن يجىء بنفسه خشية أن تزرى به العرب فمرض الحرث وكتب إليها

صبرت على كتمان حبك برهة ولى منك فى الأحشاء أصدق شاهدِ
هو الموت ان لم تأتنى منك رقعة تقوم بقلبي فى مقام العوائدِ

فأجابته تقول

كفيت الذى تخشى وصرت إلى المنى ونلت الذى تهوى برغم الحواسدِ
ووالله لولا أن يقال تظننا بى السوء ما جانبت فعل العوائد

فلما قرأ ما فى الرقعة وتنشق عاطر شذاها غشى عليه فجاؤوه فإذا هو ميت . فقالوا لها ماكان عليك لواجبته زورة قالت خشيت أن يقال صبت إليه ولكنى قاتلة نفسى ولاحقة به قريباً . فلَم يشعروا بها إلا وهى ميتة إلى جانبه

عبد الله بن عجلان وهند

خرج عبد الله بن عجلان إلى شعب من نجد ينشد ضالة فشارف ماء يقال له نهر غسان وكانت بنات العرب تقصده فتخلع ثيابها وتغتسل فيه فلما علا ربوة

تشرف على النهر المذكور رآهنّ على تلك الحالة فمكث يسترق النظر إليهنّ . فصعدن وبقيت هند وكانت طويلة الشعر فأخذت تمشطه وتسبله على بدنها وهو يتأمل شفوف بياض جسمها فى خلال سواد الشعر ونهض ليركب الناقة فلم يقدر وقعد ساعة وكان قبل تلك النظرة تصفّ له العرب ثلاثة رواحل قائمة فيحلقها ويركب الرابعة . فعند ذلك داخله من الحب ما أعجزه وأوهن قواه فأنشد

لقد كنت ذا بأس شديد وهمة إذا شئت لمساً للثريا لمستها

أتتنى سهام من لحاظ فأرشقت بقلبي ولو أسطيع رداً رددتها

ثم عاد وقد تمكن الهوى منه فأخبر صديقاً له فقال أكتم ما بك واخطبها إلى أبيها فإنه يزوجك بها ، وان أشهرت عشقها حرمتها. ففعل وخطبها . فأجيب. فتزوج بها وأقاما على أحسن حال وأنعم بال لا يزداد فيها إلا غراماً فمضى عليهما ثمانى سنين ولم تحمل . وكان أبوه ذا ثروة وليس له غيره ، فأقسم عليه أن يتزوج غيرها ليولد له ولد يحفظ له النسب والمال فعرض عليها ذلك فأبت أن تكون مع أخرى . فعاود أباه فأمره بطلاقها . فأبى . فألحّ عليه . فلم يجب وأصرّ على البقاء معها فبلغ أباه يوماً أنه فى حالة السكر ، فعدها فرصة وأرسل إليه يدعوه . فمنعته هند وقالت : والله لا يدعوك لخير وما أظنه إلا عرف أنك سكران فأراد أن يعرض عليك الطلاق فأبى عبد الله إلا الخروج فجاذبته . فلم يذعن لها ثم سار إلى أبيه وعنده أكابر العرب ، فجعلوا يعنفونه ويتناشدونه من كل مكان حتى استحى فطلقها فلما سمعت بذلك احتجبت عنه . فوجد بها وجداً قاتلا وأنشد يقول

طلقت هنداً طائعاً فندمت بعد فراقها

فالعين تذرف دمعها كالدر من آماقها

متحلباً فوق الردا فتجول فى رقراقها

خود رداح طفلة ما الفحش من أخلاقها

ولقد ألذّ حديثها فأسرّ عند عناقها

ولم يزل عبد الله دنفاً سقيما يقول فيها الشعر ويبكيها إلى أن بلغه انها تزوجت برجل من بنى نمير ، فزاد حزنه ومات آسفاً عليها

عمرو بن كعب وعقيلة ابنة أبي النجاد

كان عمرو بن كعب يهوى ابنة عم له تدعى عقيلة ، وكانت من أجمل نساء العرب وأوسعهنّ علماً وأدباً فشغف بها وزاد غراماً والتياعاً فخطبها إلى عمه فطلب منه مهراً يعجز عنه . فأشار عليه بعض أصحابه بالخروج إلى ابرويز بن كسرى لما كان بين جدودهما من الوصلة فلما ذهب فى الطريق مرّ بعراف فاستعلم منه الأمر . فأخبره انه ساع فيما لا يدرك فعاد فوجد عمه قد زوج العقيلة لرجل من فزارة . فهام على وجهه إلى اليمامة ، اما عقيلة فإنها بعد عقد الزواج أخذت تبدى لزوجها صداً وحقداً ، فخرج سائراً إلى حيث لا يدرى . وأقامت العقيلة ببيت أبيها لا تتناول إلا الأقل من الطعام بقدر ما يمسك الرمق ودأبها البكاء على عمرو . اما عمرو فإنه ما زال هائماً تائهاً من وجده شاخصاً طرفه إلى السماء أياماً ، فوقف ذات يوم وقد أظلم الدجى وخلا المكان من الرقيب فتذكر عقيلة وما جرى فأنشد

إذا جن ليلى فاضت العين أدمعاً   على الخد كالغدران أو كالسحائب
أود طلوع الفجر والليل قائل   لقد شدت الأفلاك بعد الكواكب
فما أسفى إلا على ذوب مهجتى   ولم يدرِ يوماً كيف حال الحبائب

فدخل عليه يوماً صديق له فوجده غاصاً بالضحك مستبشراً . فسأله فقال

لقد حدثتنى النفس ان سوف نلتقى   ويبدل بعد بيننا بتدانِ
فقد آن للدهر الخؤون بأنه   لتأليف ما قد كان يلتمسانِ

ثم شهق شهقة فاضت نفسه فبلغ حبيبته ذلك فحزنت عليه غاية الحزن وسئمت العيش بعده فبينما كان الفرزدق خارجاً ذات يوم فى طلب غلام له إذ مر بقرب ماء لبنى ، فأمطرت السماء فلجأ إلى بيت هناك . فلاحت له جارية كأنها القمر ، فحيت ثم قالت : ممن الرجل . قال تميمى . قالت من أيها قبيلة . قال من نهشل بن غالب قالت أين تؤم . قال اليمامة . فتنفست الصعداء ثم قالت

تذكرت اليمامة ان ذكرى   بها أهل المروءة والكرامه

فآنس بها بهاء ولطفاً فقال أذات خدر أم بعل فقالت

إذا رقد النيام فإن عمراً تؤرقه الهموم إلى الصباح
فتقطع قلبه الذكرى وقلبي فلا هو بالخلي ولا بصاح
سقى الله اليمامة دار قوم بها عمرو يحن إلى الرواح

فقال لها : من هو . فأنشدت تقول :

إذا رقد النيام فإن عمراً هو القمر المنير المستنيرُ
ومالى فى التبعل من براح وان رد التبعل لى أسير

ثم شهقت شهقة فماتت فسأل عنها فإذا هى العقيلة حبيبة عمرو بن كعب

عامر بن غالب وجميلة بنت اميل

قال الأصمعي : رأيت بالبادية رجلاً قد دق عظمه وضؤل جسمه ورق جلده فتعجبت فدنوت منه أسأله عن حاله فلم يرد جواباً فسألت جماعة حوله عن حاله فقالوا أذكر له شيئاً من الشعر يكلمك . فقلت

سبق القضاء بأنى لك عاشق حتى الممات فأين منك مذاهبي

فشهق شهقة ظننت أن روحه قد فارقته ثم أنشأ يقول

أخلو بذكرك لا أريد محدثا وكفى بذلك نعمة وسرورا
أبكى فيطربنى البكاء وتارة يأبى فيأتى من أحب أسيرا
فإذا أنا سمح بفرقة بيننا أعقبت منه حسرة وزفيرا

قلت اخبرنى عن حالك قال ان كنت تريد علم ذلك فاحملنى والقنى على باب تلك الخيمة . ففعلت . فأنشأ يقول بصوت ضعيف يرفعه جهده

ألا ما للمليحة لا تجــود أبخل ذاك منها أم صدود
فلو كنت المريضة جئت أسعى إليك ولا ينهنهى الوعيـد

فإذا جارية مثل القمر خرجت فألقت نفسها عليه فاعتنقا مدة طويلة ، فجئت أفرق بينهما خشية أن يراهما الناس فإذا هما ميتان، فما برحت حتى صليت عليهما ودفنا ، فسألت عنهما فقيل لى هما عامر بن غالب وجميلة بنت اميل

عويمر العقيلي وابنة عمه

قال خلاد بن يزيد : كان عويمر العقيلي مشغوفاً بإبنة عم له يقال لها ريا. فزوجت برجل فحملها إلى بلاده . فاشتد وجده واعتل علة أخذه الهلاس بها فدعوا له طبيباً لينظر إليه . فقال له اخبرني بالذي تجد . فقال منشداً

كذبت على نفسي فحدثت انني سلوت لكيما ينظروا حين أصدق
وما عن قلى مني ولا عن ملالة ولكنني أبقي عليك وأشفق
وما الهجر إلا جنة لي لبستها لتدفع عني ما يخاف ويفرق
عطفت على أسراركم فكسوتها قميصاً من الكتمان لا يتخرق
ولي عبرتان ما تفيقان عبرة تفيض وأخرى للصبابة تخفق
ويومان يوم فيه جسم معذب عليل ويوم للتفرق مطرق
وأكثر حظي منك اني إذا سرت لي الريح من تلقائكم أتنشق

ثم ذهب عقله فقال الطبيب لأهله ومن حضره ارفقوا به . ثم انصرف فما مكث إلا ليالي يسيرة حتى قضى عليه

العاشق وعشيقته هلال

قال ابن الأشدق : كنت أطوف بالبيت فرأيت شاباً تحت الميزاب قد أدخل رأسه في كسائه وهو يئن كالمحموم فسلمت فرد السلام ثم قال : من أين . قلت من البصرة قال أترجع إليها قلت نعم قال : فإذا دخلت النباج فأخرج إلى الحي ثم نادِ ياهلال ياهلال تخرج إليك جارية فتنشدها هذا البيت

لقد كنت أهوى أن تكون منيتي بعينيك حتى تنظري ميت الحب

ومات مكانه . فلما دخلت النباج أتيت الحي فناديت ياهلال . ياهلال ، فخرجت إليّ جارية لم أرَ أحسن منها وقالت : ما وراءك قلت شاب بمكة أنشدني هذا البيت . قالت وما صنع . قلت مات . فخرت مكانها ميتة

ابن عبد الرحمن بن عوف وابنة عمه

قال هشام الكلبي : كان بالمدينة رجل من ولد عبد الرحمن بن عوف وكان شاعراً ، وكانت عنده ابنة عم له كان لها عاشقاً وبها مستهتراً فضاق ضيقة شديدة وأراد المسير إلى هشام إلى الرصافة فمنعه من ذلك ما كان يجد بها وكره فراقها فقالت له يوماً وقد بلغ منها الضيق : يا ابن عمي الا تأتي الخليفة لعل الله تعالى ان يقسم لك منه رزقاً فتكشف به بعض ما نحن فيه فلما سمع ذلك منها نشط للخروج فتجهز ومضى حتى إذا كان من الرصافة على أميال ، خطر ذكرها بقلبه وتمثلت له فلبث ساعة مغمى عليه ثم أفاق فقال للجمال قف بنا فوقف فأنشد يقول

بينما نحن في بلاكث فالقا ع سراعاً والعيس تهوى هويا
خطرت خطرة على القلب من ذكـ راك وهناً فما أطقت مضيا
قلت لبيك إذ دعاني لك الشو ق وللحاديين ردا المطيا
فكررنا صدور عيس عتاق مضمرات طوين بالسير طيا
ذاك مما لقينا من دج السير وقول الحداة بالليل هيا

ثم قال للجمال ارجع بنا فقال سبحان الله قد بلغت طيتك هذه أبيات الرصافة ، فقال والله لا تخطوا خطوة إلا راجعة ، فرجع حتى إذا كان من المدينة على قدر ميل لقيه بعض بني عمه فأخبره أن إمرأته قد توفيت فشهق شهقة وسقط عن ظهر الجمل ميتاً

ابن العاص وجارية أحبها

عشق رجل من ولد سعيد بن العاص جارية بديعة الصوت شهيرة بالغناء فهام بها دهراً وهو لا يعلمها بذلك . ثم انه ضجر فقال : والله لأبوحن لها فأتاها عشية فلما خرجت إليه قال لها : اخبريني بالله هل أنشدت

أتجزون بالود المضاعف مثله فإن الكريم من جزى الود بالود

قالت نعم وأنشد أحسن منه . فقالت :

للذى ودنا المــودة بالضعف م وفضـل البادى به لا يجـــازى
لو بدا ما بنا لـكم ملأ الأرض م وأقطـــارَ شامها والحجـــازا

فاتصل خبر هذين البيتين بعمر بن عبد العزيز وهو أمير المدينة ، فابتاعها له وأهداها إليه . فمكثت عنده سنة ثم ماتت . فلم يلبث من حزنه عليها أن تبعها إلى دار البقاء.

إجتماع محبين بعـــد الموت

قال أبو الخطاب الأخفش : خرجت فى سفر فنزلت على ماء لطيء فبصرت بخيمة من بعيد فقصدت نحوها ، فإذا فيها شاب على فراش كأنه الخيال . فأنشأ يقول

ألا مال الحبيبـة لا تعود أبخل بالحبيبة أم صـدودُ
مرضت فعادنى عواد قومى فما لك لم ترَ فى من يعود
فلو كنتِ المريض ولا تكونى لعدتكم ولو كثر الوعيد
ولا استبطأت غيرك فاعلميه وحولى من ذوى رحمى عديد

ثم أغمى عليه فمات فوقعت الصيحة فى الحى فخرج من آخر الماء جارية كأنها خلقة قمر ، فتخطت رقاب الناس حتى وقفت عليه فقبلته وأنشأت تقول

عدانى ان أعودك ياحبيبى معاشر فيهم الواشى الحسودُ
أذاعوا ما علمت من الدواهى وعابونا وما فيهم رشـيد
فأما إذ حللت ببطن أرض وقصر النـاس كلهم اللحود
فلا بقيت لى الدنيـا فواقاً ولا لهم ولا أثرى عديد

ثم شهقت شهقة فخرت ميتة منها فخرج من بعض الأخبية شيخ فوقف عليهما وقال : والله لئن فرقت بينكما حيين لأجمعن بينكما ميتين، ثم ضم كلا إلى الآخر ودفنهما فى قبر واحد . فسألته فقال : هذه ابنتى وهذا ابن أخى

سهلان القاضي وأحد العشاق

قال سهلان القاضي : بينا أنا مارّ فى طرقات جبل شورى وقد مرّت بى قافلة عظيمة ، إذا نحن بشاب على الطريق ذاهب العقل مدهوش عريان وبين يديه ثياب ممزقة . فقال لى : أين رأيت القافلة . قلت فى موضع كذا . قال : آه من البين آه من البين آه من دواعى الحين . . فقلت وما دهاك . فقال :

شيعتهم من حيث لم يعلموا ورحت والقلب بهم مغرمُ
سألتهم تسليمـــة منهم علىّ إذ بانوا فما سـلموا
ســاروا ولم يرثوا لمستهترٍ ولم يبالوا قلب من تيموا
واستحسنوا ظلمى فمن أجلهم أحب قلبي كل من يظلـم

شجاع والفتاة العفيفة

أحب أحد الشبان فتاة جميلة شهيرة بالورع والتقوى . ومن شدة حبه لها علاه السقام وزادت منه الأوجاع والآلام، فتقاطرت عليه الأطباء دون أن يرواجدوى، ولما أعيت الحيلة استكشفوه الأهل عن أمره فأبى إلا الكتمان، ولما اشتد عليه حاله اختلى بامرأة من أنسبائه كبيرة السن من أهل الوفاء والمعروف فاطلعها جلية الأمر فسارت توآ إلى الفتاة وخاطبتها سراً بما فى نفسه لأجلها ، وطلبت منها أن تعطف عليه وتجبر خاطره الكسير . فقالت لها : أبلغيه منى السلام وقولى : أى أخاه إنى والله قد وهبت نفسى لمليك يكافىء من أقرضه بالعطايا الجزيلة ، ويعين من انقطع اليه وخدمه بالهمم الرفيعة وليس إلى الرجوع بعد الهبة سبيل . فتوسلى إلى مولاك ومولاى أن يسبل علىّ ذيل المعذرة ويعاملنى على ذنبي بجميل المغفرة والسلام . فقامت المرأة من عندها وأخبرته بمقالتها . فبكى بكاء شديداً . فقالت له العجوز : والله يا بنى ما رأيت فتاة أشد تقوى وطهارة منها . فاعمل بما أمرتك به ولا تلق نفسك بالتهلكة . ولو قدرت على عمل حيلة أنفذ بها لعملتها. ولكنى رأيت أنها جعلت الله نصب عينيها،ومن جعل الله تعالى نصب عينيه لها عن زينة الحياة . فجعل يبكى ويقول : أنىّ لى بلوغ

ما دعت اليه ومتى يكون الملتقى . واشتد وجده حتى أفضى إلى الجنون ، فصار يجول فى الطرقات بحالة يرثى لها ، فيجتمع عليه الأولاد قائلين ومستهزئين : مت عشقاً مت عشقاً ، فكان يقول :

أأفشى اليكم بعض ما قد يهيجنى ... أم الصبر أولى بالفتى عند ما يلقى
أأوعد وعــداً ما له الدهر آخر ... واؤمر بالتقوى ومن لى بالتقوى
سلام على من لا أسميه باسمــه ... ولو صرت مثل الطير فى قفص يلقى
ألا أيها الصبيان لو ذقتم الهوى ... لايقنتم إنى محــدثكم حقــا
أحبكم من حبها وأراكم ... تقولون لى مت يا شجاع بها عشقا
فلم تنصفونى لا ولا هى أنصفت ... فرفقاً رويداً ويحكم بالفتى رفقا

فلما اتضح لأهله حقيقة حبه وغرامه جعلوا يسألونه عن أمره فلا يجيبهم . وكتمت العجوز حقيقة أمره ، فاخذوه وحبسوه فى بيت لهم فلم يزل فيه حتى مات

مصرع عاشق سمع آية الكتاب

قال عبد الرحمن الصوفى : كنت ببغداد بسوق النحاسين فرأيت قوماً مجتمعين فدنوت منهم . فرأيت شاباً مصروعاً مغشياً عليه فقلت لواحد منهم : ما الذى أصابه فقال : سمع آية من كتاب الله عز وجل فقلت واية آية هى فقال : قوله عز وجلّ « ألم يأن الذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله » فلما سمع أفاق وأنشد

ألم يأن للهجران أن يتصرما ... وللغصن غصن البان أن يتبسما
وللعاشق الصب الذى ذاب وانحنى ... أما آن أن يبكى عليــه ويرحمــا
كتبت بماء الشوق بين جوانحى ... كتاباً حكى نفس الوشاة منمنما

ثم صاح صيحة خر مغشياً عليه فحركناه فإذا هو ميت

محمد بن داود وابراهيم بن نفطويه

قال ابراهيم بن نفطويه النحوى دخلت على محمد بن داود الاصفهانى فى مرضه الذى مات فيه فقلت : ماذا ألم بك ، قال حب من تعلم أورثنى ما ترى . قلت ما

منعك منه مع القدرة عليه .قال الاستمتاع على وجهين النظر المباح واللذة المحظورة ، أما النظر المباح فقد أوصلني إلى ما ترى ، وأما اللذة المحظورة فقد منعني منها ما بلغني عن النبي (صلعم) قوله من عشق وكتم وعف غفر الله له وأدخله الجنة ثم أنشد أبياتاً لنفسه فلما انتهى إلى قوله

إن يكن عيب خده من عذار فعيوب العيون شعر الجفون

قلت له انت تنفي القياس فى الفقه وتثبته فى الشعر فقال غلبة الهوى وملكة النفس دعوا اليه فما كدت أفارقه حتى سمعت نعيه فأسفت عليه كثيراً

جارية عبد الله بن جعفر وأحد الفتيان

قال عبد الله بن جعفر : اشتريت جارية مولدة بعشرة آلاف درهم ، وكانت حاذقة مطبوعة فهمت فى حبها غاية الهيام ففى ذات يوم قدمت إلىّ عجوز فذكرت لى أن بعض أعراب المدينة يحبها وتحبه ويراها وتراه ، وأنه يجيء كل ليلة فيقف بالباب ليسمع غناءها ويبكى شغفا وحباً فعزمت على كشف الامر ،فلما كان الوقت المذكور نظرت فاذا به قد دنا مقبلا فلبثت محدقاً بهما مصغ إلى ما يقولان فاذا بها تكلمه ويكلمها ويشكو كل إلى رفيقه ما يلاقى من ألم البعد . فلما أشرق الصباح دعوت بها فحضرت فأخذتها بيدها ،وملت نحو الرجل فحركته فانتبه مذعوراً فقلت لا بأس عليك ولا خوف هى هبة منى اليك . فدهش الفتى ولم يجبنى . فدنوت منه وقلت همسا فى أذنه قد أظفرك الله بما تريد فقم وانصرف بها إلى منزلك فلم يرد جوابا فحركته فاذا هو ميت .

امرأة مات حبيبها

أحبت امرأة رجلا وكان متمنعا عنها زمانا فراسلته أن يتزوج بهافعفعل . وكانت بينهما ألفة شديدة فمكثا على ذلك مدة فمرض فمات . فجعلت المرأة تتردد إلى قبره ولزمته يوما تبكى وتنشد :

كفى حزناً إنى أمــوت بحسرة وأغدو على قبر ومن فيه لا يدرى
فيانفس شق جيب عمرك عنده ولا تبخلى بالله يا نفس بالعمر
فما كان يأبى أن يجود بنفسه لينقذنى لو كنت صاحبة القبر

ثم زادت فى النحيب وانكبت على القبر تبكى فاذا هى ميتة

الشريف البياضى والجارية

عشق الشريف البياضى جارية لبنت فخر الملك فوجد بها وجداً عظيما وزاد أمره حتى شاع بين الناس . ولم يزل حتى مرضت فرض هو أيضاً فلما ماتت طاش عقله وذهب لبه فلحق بها وهو ينشد قائلا

دع الوقوف على الاطلال والدمن فليس ينفع مسكون بلا سكنِ
أما ترانى لا أثنى على طللِ بعد الفراق ولا آوى إلى وطنَ
وكيف يأنس قلبى بالديار وقد أصاب فيها الردى من كان يؤنسنى
إن الذين أذاقونى فراقهم أفنيت بعدهم دمعى من الحزن
لله من لعبت أيدى المنون به ضناً بما فيه أن يبقى على الزمن
جعلت روحى له من روحه عوضاً مقيمـــة معه فى ذلك الكفن
فصار كالحى إذ روحى تحل به وصرت كالميت إذ لا روح فى بدنى
وكيف تصحب روحى بعده جسدى وكان أن غاب تأبى أن تصاحبنى

عبيد النعالى وأحد العشاق

قال عبيد النعالى : انصرفت من جنازة من مسجد الرضى فى وقت الهاجرة . فلما دخلت سكك البصرة اشتد على الحر . فتوخيت سكة ظليلة واضطجعت على باب دار فسمعت ترنماً يجذب الفؤاد فطرقت الباب واستقيت ماء فاذا فتى بديع الجمال نحيل من شدة السقام أدخلنى إلى غرفة نظيفة له . فلما هدأ بالى وراقت أحوالى خرج الفتى ومعه وصيفة تحمل طستا وماء ومنديلا . فغسلت يدى وشربت وأخذت ردائى

وجلست فلبثت يسيراً وإذا بالفتى قد أقبل ضاحكا ليؤنسني والعبرة تنحدر من عينيه ثم جيء بالطعام فاقبل يأكل كأنه نغص بما يأكله وهو في ذلك يبسطني . فلما انقضى أكلنا أتتنا بشراب فشرب قدحاً وشربت آخر ثم زفر زفرة ظننت أن أعضائه قد انقضت وقال لي : يا أخي إن لي نديماً فقم بنا اليه فقمت وتقدمني ودخل مجلساً فاذا قبر عليه ثوب أخضر وفي البيت رمل مصبوب ، فقعد على الرمل وطرح لي رداءه فقلت والله لا قعدت إلا كما تقعد ، وأقبـــل يردد العبرات ثم شرب كأسا وشربت وأنشأ يقول :

اطأ التراب وأنت رهن حفيرة   هالت يداي على صداك ترابها
إني لأعذر من مشي إن لم اطا   بجفون عيني ما حييت جنابها
لو أن جمر جوانحي متلبس   بالنار أطفأ حرها وأذابها

ثم أكب على القبر مغشياً عليه ، فجاءغلام بماء فصبه على وجهه فافاق فشرب ثم أنشأ يقول :

اليـوم آب لي السرور لأنني   أيقنت أني عاجلا بك لاحق
فغداً أقاسمك البلى ويسوقني   طوعا اليك من المنيـة سائق

ثم قال لي قد وجب حق عليك فاحضر غداً جنازتي . قلت يطيل الله عمرك . قال إني ميت لا محالة . فدعوت له بالبقاء فقال : إن طاوعتني فأنت قائل

جاور خليلك مسعداً في رمسه   كيما ينالك في البـلى ما ناله

فانصرفت وقد طال ليلي ونفذ صبري وغدوت اليه فاذا هو قد مات .

المرقش وأسماء

كان المرقش من حبه لأسماء يألف البراري ويلزم الخلاء ففي ذات يوم مر به راع يرعى غنما فرآه مطروحا على الأرض . فقال له : من أنت . قال له المرقش : أنا رجل من مراد فراعي من أنت . فاعلمه باسم سيده فاذا هو زوج أسماء . فقال له : تكلم مولاتك . قال لا ولكن تأتيني جارية منعندها لآخذ اللبن . فنزع المرقش خاتمه وقال للراعي ألقه في القدح فتصيب به خيراً . ففعل فلما رأته اسما دعت بالجارية

وسألتها عن الخبر فقالت لا أعلم فسألت زوجها عنه فاحضر الراعى فأعلمه الحقيقة، فأشفق عليه وركب وأركب زوجته فادركوا عمراً على آخر رمق فحملوه اليهم فلم يلبث قليلا حتى مات فوجدوا أمامه رقعة فيها

سما نحوى خيال من سليمى ... فأرقنى وأصحابى هجـــودُ
حواليها مهى بيض التراقى ... وآرام وغزلان رقـود
نواعم لا تعالج بؤس عيش ... أوانس لا تروح ولا ترود
سكن ببلدة وسكنت أخرى ... فقطعت المواثق والعهود
فما بالى رقيق القلب حبا ... وما بالى أصاد ولا أصيد
أناس كلما أخلقت وصـــلا ... عنانى منهم وصل جـــديد

مسعدة بن وائلة ورملة بنت أثيلة

صادف مسعدة بن وائلة الصادى فتاة حسناء كانت قادمة لتملأ جرة من الماء فقالت له هل لك أن تكفينى كلفة التعب. قال: وما تطلبين. قالت ملء هذه الجرة وأعطته إياها فلما ملأها وهمت أن تتناولها منه شمرت عن زندين كالبلور حسنا ونوراً، ثم تناولت القربة فانكشف البرقع عن وجهها كأنما تعير الشمس منه ضياء فوقع فى قلبه حب مكين لها فشكا إلى صديق له وسأله عن اسم الجارية. فقال هى رملة بنت أثيلة. وأعلمه بمكانها. فكان يمضى فى كل يوم فيقف حتى يراها فيشكو اليها ما عنده من الحب حتى داخلها من العشق ما داخله. فعلم أهلها بذلك فحجبوها عنه، فخرج حزينا خائفا فرأى حمامات على أراكة ينحن فهاجت بلابله وأنشد

دعت فوق أغصان من الايك موهنا ... مطوقة ورقاء فى أثر آلف
فهاجت مفاعيل الهوى إذ ترنمت ... وشبت ضرام الشوق بين المعاطف

ثم أظلم الظلام فسمع قائلا يقول

ولا شيء بعد اليوم إلا تعـــلة ... من الطيف أو تلقى بها منزلا قفراً

فهاج قلقه وسار فاذا براع يقول:

كفى بالليالى مخلقات لجدة   وبالموت قطاعاً حبال القرائن

فلما سمع هذا البيت خر مغشياً عليه فحملوه إلى بيته ، فلما أفاق أنشد يقول

يا راعى الضان قد ألقيت لى كمداً   يبقى ويقلقنى يا راعى الضان
نعيت نفسى إلى روحى فكيف إذاً   أبقى ونفسى فى أثناء أكفانى
لو كنت تعلم ما أسررت فى كبدى   بكيت مما تراه اليوم أبكانى

فلم يزل يردده حتى مات

الفتى العاشق

قال عبد الملك بن محمد : خرجت من البصرة أريد الحج فإذا أنا بفتى نضو قد نهكه السقام يقف ناظراً فى كل محل وهودج يمر من هناك. فعجبت منه ومن فعله. فقال

أحجاج بيت الله فى أى هودج   وفى أى خدر من خدوركم قلبى
أأبقى أسير الحب فى دار غربة   وحاديكم يحدو بقلبى فى الركب

فلم أزل أقف عليه حتى جاء إلى المنزل . فاستند إلى جدار ثم قال :

خل فيض الدمع ينهمل   بان من تهواه فارتحلوا
كل دمع صانه كلف   فهو يوم البين مبتذل

ثم تنفس الصعداء وشهق شهقة فحركته فإذا هو ميت

الاعرابى ومحبوبته

قال ابن الزهرى خرجت فى نشدان ضالة لى فآوانى المبيت إلى خيمة اعرابى فقلت هل من قرى فقال لى انزل فنزلت فثنى لى وسادة وأقبل على يحدثنى ثم أتانى بقرى فأكلت . فبينا أنا بين النائم واليقظان إذا بفتاة قد أقبلت لم أرَ مثلها جمالا وحسناً فجلست وجعلت تحدث الاعرابى ويحدثها إلى أن طلع الفجر ثم انصرفت فقلت والله لا أبرح موضعى هذا حتى أعرف خبر الجارية والاعرابى فمضيت فى طلب ضالتى يوماً ثم أتيته عند الليل فأتى بقرى فبينا أنا بين النائم

واليقظان وقد أبطأت الجارية عن وقتها قلق الاعرابى فكان يذهب ويجىء وهو يقول

ما بال ميـــة لا تأتى لعادتها أعاجها طرب أم صدها شغــلُ
لـكن قلبى عنـكم ليس يشغـــله حتى الممات وما لى غـــيركم أمل
لو تعلمين الذى بى من فراقـكم لما اعتذرت ولا طابت لك العلل
نفسى فداؤك قد أحللت بى سقماً تـكاد من حره الأعضاء تنفصل
لو أن عادية منه على جبـل لـماد وانهد من أركانه الجبـــل

ثم أتانى فنبهنى وقال لى : ان خلتى التى رأيت بالأمس قد أبطأت على وبينى وبينها مسافة طويلة لا آمن عليها من سبع أو مفترس فأبق هنا لأبحث عنها ثم مضى فأبطأ قليلا ثم جاء بها يحملها بين يديه وقد فتك بها أحد السباع فوضعها بين يدى ثم أخذ السيف ومضى . فلم أشعر إلا وقد جاء بالأسد مقتولا ثم أنشأ يقول

ألا أيها الليث المضر بنفســـه ضللت لقد جرت يداك لك الشرا
أخلفتنى فرداً وحيـــداً مولهاً وصـــيرت آفاق البلاد بها قبرا
أأصحب دهـــراً خاننى بفراقها معاذ إلهى أن أخون بها دهرا

ثم قال لى هذه ابنة عمى كانت عزيزة على فنعنى أبوها أن أتزوجها فزوجها رجلا من أهل هذه البيوت فخرجت من ما لى كله ورضيت بالمقام هنا على ما ترى فكانت إذا وجدت خلوة أو غفلة من زوجها أتتنى فحدثتنى وحدثتها كما رأيت من سلامة النية وطهارة الفؤاد وقد آليت على نفسى ألا أعيش بعدها فأسألك بالحرمة بيننا إذا أنا مت فالففنى وإياها بهذا الثوب ، وادفنا فى مكاننا هذا واكتب على قبرنا هذا الشعر

كنا على ظهرها والدهر فى مهل والعيش يجمعنا والدار والوطنُ
ففرق الدهر بالتصريف فرقتنـا فاليوم يجمعنـا فى بطنها الـكفن

ثم اتكأ على سيفه فخرج من ظهره فسقط ميتاً فلففتهما فى الثوب وحفرت لهما فدفنتهما فى قبر واحد وكتبت عليه كما أمرنى

عبد الله بن المعمر وعتبة وريا بنت الغطريف

قال عبد الله بن معمر حججت سنة إلى بيت الله الحرام فلما قضيت حجى عدت إلى زيارة قبر النبي فبينما أنا ذات ليلة جالس فى الروضة بين القبر والمنبر إذ سمعت أنيناً رقيقاً بصوت رخيم ، فأنصت إليه وإذا هو يقول

أشجاك نوح حمائم السدر فأثار منك بلابل الصدر
أم ساء حالك ذكر غانية أهدت إليك وساوس الفكر
يا ليلة طالت على دنف يشكو الغرام وقلة الصبر
أسهرت من يصلى بحر جوى متوقد كتوقد الجمر
فالبدر يشهد انى كلف صب بحب شبيهة البدر
ما كنت أحسب انى كلف حتى بليت وكنت لا أدرى

ثم انقطع صوته ولم أدر من أين جاءنى فبقيت حائراً وإذا به أعاد الأنين وأنشد يقول

أشجاك من ريا خيال زائر والليل مسود الذوائب عاكرُ
واعتاد مقلتك الهوى بسهاده وأهاج مهجتك الخيال الزائر
ناديت ليلى والظلام كأنه بحر تلاطم فيه موج زاخر
يا ليل طلت على محب ما له الا الصباح مساعد وموازر
فأجابنى لا تشكونّ اطالتى ان الهوى لهو الهوان الحاضر

فنهضت إليه عند ذلك أقصد جهة الصوت فرأيته غلاماً فى غاية الجمال لم ينبت له عذار بعد. فقلت له نعمت غلاماً . فقال ومن أنت. قلت عبد الله بن معمر القسيس. قال أفلك حاجة.قلت له كنت جالساً فى الروضة فما راعنى هذه الليلة إلا صوتك فبنفسى أفديك ما الذى تجده قال اجلس فجلست قال أنا عتبة بن الحباب بن المنذر الأنصارى ، غدوت إلى مسجد الأحزاب فبقيت راكعاً وساجداً . ثم اعتزلت أتعبد وإذا بنسوة يتهادين كالاقمار وفى وسطهن جارية بديعة الجمال كاملة الملاحة، فوقفت على

وقالت يا عتبة ما تقول فى وصال من يطلب وصلك . ثم تركتنى وذهبت . فلم أسمع لها خبراً ولا وقفت لها على أثر ، وها أنا حيران انتقل من مكان إلى مكان . وصرخ وانكب على الأرض مغشياً عليه . ثم أفاق كأنما صبغت ديباجة خديه وأنشأ يقول

أراكم بقلبي من بلاد بعيدة　　تراكم ترونى بالقلوب على بعد
فؤادي وطرفى يأسفان عليكم　　وعندكم روحى وذكركم عندى
ولست ألذ العيش حتى أراكم　　ولو كنت فى الفردوس أو جنة الخلد

فقلت له يا عتبة يا ابن أخى تب إلى ربك واستغفر من ذنبك فإن بين يديك هول الموقف . فقال هيهات ما أنا سال حتى يأوب القارظان ، ولم أزل معه حتى طلع الفجر ، فقلت له قم بنا إلى المسجد فقام ، فجلسنا فيه حتى صلينا الظهر وإذا بالنسوة قد أقبلن ، وأما الجارية فليست فيهن فقلنَ ما ظنك بطالبة وصلك قال وما بالها قلنَ أخذها أبوها وارتحل إلى السماوة . فسألتهنّ عن اسم الجارية فقلن ريا بنت الغطريف السليمى فرفع رأسه وأنشد

خليليّ ريا قد أجد بكورها　　وسارت إلى أرض السماوة عيرها
خليليّ انى قد غشيت من البكا　　فهل عند غيرى عبرة أستعيرها

فقلت له يا عتبة انى وردت بمال جزيل أريد به ستر أهل المروءة لأبذلنه أمامك حتى تبلغ رضاك وفوق الرضى، فقم بنا إلى مجلس الأنصار. فقمنا حتى أشرفنا على ملإهم فسلمت عليهم فأحسنوا الرد ثم قلت أيها الملأ ما تقولون فى عتبة وأبيه . قالوا من سادات العرب . قلت اعلموا انه رمى بداهية الهوى فأريد منكم المساعدة إلى السماوة. فقالوا سمعاً وطاعة فركبنا وركب القوم معنا حتى أشرفنا على مكان بنى سليم . فعلم الغطريف بمكاننا فخرج مبادراً واستقبلنا وقال : حييتم يا كرام . فقلنا له : وانت حييت انا لك أضياف فقال نزلتم بأكرم منزل رحب . فنزل ثم نادى : يا معشر العبيد انزلوا فنزلت العبيد وفرشت الأنطاع والنمارق وذبحت النعم والغنم فقلنا نحن لا نذوق طعامك حتى تقضى لنا حاجتنا قال وما حاجتكم . قلنا نخطب ابنتك الكريمة لعتبة بن الحباب بن المنذر العالى الفخر الطيب العنصر فقال يا اخوانى

ان التي تخطبونها أمرها لنفسها وأنا أدخل وأخبرها . ثم نهض مغضباً ودخل إلى زيا: فقالت يا أبت ما لي أرى الغضب بائناً عليك فقال ورد عليّ قوم من الأنصار يخطبونك مني فقالت سادات كرام استغفر لهم النبي عليه السلام فلمن الخطبة فيهم . فقال لها لفتى يعرف بعتبة بن الحباب قالت سمعت عن عتبة هذا انه يفي بما وعد ويدرك ما طلب . فقال أقسمت لا أزوجك به أبداً فقد نمى إليّ بعض حديثك معه . قالت ما كان ذلك ولكن أقسمت أن الأنصار لا يردون مرداً قبيحاً فأحسن لهم الرد قال بأي شيء . قالت أغلظ عليهم المهر فإنهم يرجعون. قال ما أحسن ما قلت . ثم خرج مبادراً فقال ان فتاة الحي قد أجابت ولكن تريد لها مهراً لائقاً بها فمن القائم به فقلت أنا قال أريد لها مهراً ألف اسوار من الذهب الأحمر وخمسة آلاف درهم من ضرب هجر ومائة ثوب من الابراد وخمسة أكرسة من العنبر فهل أجبت فقلت أجبت وأنفذت نفراً من الأنصار إلى المدينة المنصورة فأتوا بجميع ما ضمنه وذبحت النعم والغنم واجتمع الناس لأكل الطعام، فأقمنا على هذه الحال أربعين يوماً ثم قال خذوا فتاتكم ، فحملناها على هودج وجهزها بثلاثين راحلة من التحف . ثم ودعنا وانصرف وسرنا حتى بقي بيننا وبين المدينة المنورة مرحلة . ثم خرجت علينا خيل تريد الغارة فحمل عليها عتبة بن الحباب فقتل عدة رجال وانحرف وبه طعنة ثم سقط إلى الأرض وأتتنا النصرة من سكان تلك الأرض فطردوا عنا الخيل وقد قضى عتبة نحبه فقلنا واعتبتاه فسمعت الجارية ذلك فألقت نفسها عن الناقة وانكبت عليه صائحة نائحة وأنشدت تقول هذه الأبيات

تصبرت لا انى صبرت وإنما أعلل نفسى انها بك لاحقه
ولو أنصفت روحى لكانت إلى الردى أمامك من دون البرية سابقه
فما أحد بعدى وبعدك منصف خليلا ولا نفس لنفسى موافقه

ثم شهقت شهقة واحدة وأسلمت الروح فحفرنا لها قبراً واحداً وواريناهما التراب، ورجعت إلى ديار قومي وأقمت فيها سبع سنين . ثم عدت إلى الحجاز ودخلت المدينة المنورة للزيارة فقلت لأعودن إلى قبر عتبة فأتيت إليه فإذا عليه شجرة

عالية عليها عصائب لطيفة الألوان . فقلت لأرباب المنزل ما يقال لهذه الشجرة. فقالوا شجرة العروسين . فأقمت عند القبر يوماً وليلة وانصرفت

مصرع ثلاثة عشـــاق فى يوم واحد

كانت فتاة جميلة الوجه تهوى شاباً لطيفاً للغاية وكان الشاب يهوى قينة بديعة الصوت فتانة الملامح لها معرفة بتلك الفتاة . فبينما كانت تلك القينة فى مجلس مع الشاب أنشدت له هذين البيتين

علامات ذل الهــوى على العاشقين البـكا
ولا ســيما عاشــق إذا لم يجـد مشتكى

فقال لها الشاب أحسنت يا سيدتى أفتأذنين لى أن أموت فقالت له القنية نعم ان كنت عاشقاً فمت . فوضع الشاب رأسه على وسادة وأغمض عينيه . فحركوه فإذا به ميت . ولما سمعت الفتاة التى تهواه بخبر موت حبيبها توسدت على منواله فحركوها فإذا بها ميتة فجهزوها مع الشاب وساروا فى جنازتهما . فبينما هم فى الطريق رأوا جنازة ثالثة فسألوا عنها فإذا هى جنازة القينة . فدفنوا الثلاثة فى يوم واحد

غسان بن جهضم وزوجتـــه أم عقبة

كان غسان بن جهضم مفتوناً بحب ابنة عمه أم عقبة وكانت من أجمل النساء وأحسنهن وأفضلهن خصالا . فلما حضرته الوفاة جعل ينظر إليها ويبكى . ثم قال لها: إنى منشدك أبيات أسألك فيها عما تصنعين بعدى وأرجوك أن تصدقينى . فقالت قل فو الله لا أكذبك أمراً فأنشد :

اخبرى بالذى تريدين بعــدى ما الذى تضمرين يا أم عقبــه
تحفظينى من بعد موتى لما قد كان منى من حسن خلق وصحبه
أم تريدين ذا جمــال ومال وأنا فى التراب رهن سجن وغربه

فأجابته :

قد سمعنا الذى تقــول وما قد خفته يا خليل من أم عقبــه

سوف أبكيك ما حييت شجواً ... بمراث أقولها وبندبه

فقال :

أنا والله واثق بك لكن ... ربما خفت منك غدر النساء

بعد موت الأزواج يا خير من عو ... شر فارعى حقى بحسن وفاء

إننى قد رجوت أن تحفظى العهد ... م فكونى ان مت عند رجائى

فلما مات توافد عليها الخطاب فقالت

سأحفظ غساناً على بعد داره ... وارعاه حتى نلتقى يوم نحشرُ

وإنى لنى شغل عن الناس كلهم ... فكفوا فما مثلى من الناس يغدر

سأبكى عليه ما حييت بعبرة ... تسيل على الخدين منى فيكثر

فلما طالت الأيام وكثر إلحاح الناس أجابت الخاطب . فلما كانت الليلة التى زفت بها جاءها غسان فى النوم فأنشد

غدرت ولم ترعى لبعلك حرمة ... ولم تعرفى حقاً ولم تحفظى عهدا

ولم تصبرى حولا حفاظاً لصاحب ... حلفت له يوماً ولم تنجزى وعدا

غدرت به لما ثوى فى ضريحه ... كذلك يُنسى كل من سكن اللحدا

فانتبهت مرعوبة كأنما كان معها فقالت لها النساء : ما دهاك قالت ما ترك غسان لى فى الحياة ارباً ولا فى السرور رغبة ، أتانى فى المنام فأنشدنى هذه الأبيات ، ثم جعلت ترددها وتبكى فشاغلتها بالحديث فلما غفلن عنها أخذت شفرة فذبحت نفسها ووفت لزوجها

شهيدة الوفاء

اتهمت الحكومة إمرأة بقتل زوجها لعدم معرفتها أين مقره ، فدفعت للتعذيب وكانت بريئة ، فأذعنت إلى ذاك الحكم دون أن تبرأ نفسها لأنها قد سئمت حياتها بعيدة فشنقوها . وبعد يومين عاد زوجها وطالب بحقوق إمرأته فكذبوه ، فبرهن على أنه زوجها فلم ينظروا إلى كلامه ، فسار هائماً على وجهه يئساً من الحياة

شهيدة الحب

منظومة بقلم جامع الكتاب

لله موقف غادة   عبثت ببهجتها الشجون
لعب الهوى بفؤادها   غصناً تتيه على الغصون
فتقصفت أوراقها   حتى علا منها الأنين
ما تلك أوراق جنتها م   قط أيدى الغارسين
حتى تعود فتنجلى   للعين زهراء الجبين
تلك الجوارح إنما   رقت لتكسير الجفون
لجنى عليها الوجد ما   لم تجنه نبل العيون
من نظرة قد غادرت   فى قلبها السهم المكين
سهم بدا عن قوس حا   جب أهيف يرمى الفتون
فغدت تقول بلوعة   أماه هلا تعلمين
قد جاءنى وحى الخفا   إنى سأقضى بعد حين
لحنت عليها أمها   تبكى بكاء الخائفين
بيد تضم فؤادها   كالطير ضمته الغصون
وغدت تقول بلهفة   لله ما هذى الظنون
ما أنت إلا وردة   حجبت فأنى تقطفين
تحيين ما بكت السحا   ئب أو جرت ماء العيون
فبكت بنيتها بدمع م   هاجه الداء الدفين
وثنت غصين قوامها   تشكو ولكن لا معين
وتقول من وله الا   هى إرحم قلوب العاشقين
واغفر لهم زلاتهم   فلأنت خير الغافرين

حتى إذا بسم الصبا   ح وفتحت منه الجفون
نظرت لخالج طرفها   سبح رأته منذ حين
فدنت بجاذب شوقها   حتى إذا التقت العيون
ورأت حبيب فؤادها   يدنو وتحجبه الغصون
قالت وقد نشر الحيا   ء لواءه فوق الجبين
أهلا بمن ملك الفؤا   دَ هواه دون العالمين
فأجابها ذاك الفتى   فرحاً بلقياها حزين
يا من حوت ورد الريا   ض بخدها الباهى المصون
من لى بأن يبنى الهوى   منا على عهد متين
فتعاهدا حتى إذا   وافى حماها بعد حين
نظر الفتى فى وجهها   دمعاً فهاجته الشجون
وارتاب فى حب الفتا   ة له وراعته الظنون
ورنا إليها قائلا   بالله ماذا تشتكين ؟
قالت وقد بسط المما   ت جناحه فوق الجبين
اشكو شراباً صبه   الرحمن فى كأس المنون
وأتت به الأقدار تس   عى نحو ذا القلب الحزين
فبكى الفتى جزعاً وصا   ح بلهفة انى يكون
أبيقظة يا اذن أم   فى الحلم ما قد تسمعين
فأجابه من عالم النجوى لسان العاشقين
هيهات قد حكم القضا   وذاك أقوى الحاكين
بجنى غصين قد حلا   منه الجنى دون الغصون
فاصبر على بلواك ان   الله يجزى الصابرين
فجثا الفتى جزعاً وصا   ح حبيبتى هل تسمعين
لا لا فداك يروع قلـ   بك ذكره لو تعلمين

ما زلت فى مهد الصبا   من روض حسنك ترتعين
فبكت حبيبته وقا   لت تلك يا قلبي ظنون
فأدنو حبيبي للوداع   قبيل أن يدنو المنون
ويروع قلبينا بنأى   لا لقاء له يكون
فبكى وقال حبيبتى   بالله ماذا تكتمين
وأراد تخفيف الجوى   منها وابداء الحنين
وإذا بها سقطت تجلل   ورد خديها الغصون
فدنا ينازعها الفنا   ندماً ولكن لات حين .
ويقول يا عذراء رفقاً بى   وبالقلب الحزين
حتى إذا هدأ الظلا   م وعم فى الأرض السكون
سمع الفتى من نحوها   صوتاً يخامره الأنين
وهتاف وحى قائل   وارحمتا للعاشقين

المطبعة الفخرية ت ٤٠٨٣٤